M

جامعة ابن خلدون-تيارت جامعة ابن خلدون-تيارت
University Ibn Khaldoun of Tiaret

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
Faculty of Humanities and Social Sciences
قسم علم النفس والفلسفة والأورطفونيا
Department of Psychology, Philosophy, and Speech Therapy

مذكرة مكملة لنيل شهـادة ماستر الطور الثاني ل.م.د
تخصص فلسفة عربية واسلامية
العنوان

مفهوم الاستغراب عند حسن حنفي

إعداد:

- عبدالقادر بن دلة

إشراف:

د. فضيلة مبارك

لجنة المناقشة

الأستاذ (ة)	الرتبة	الصفة
د. حسين رمضاني	أستاذ محاضر	رئيسا
د. فضيلة مبارك	أستاذ محاضر	مشرفا ومقررا
د. حاجة بن ناصر	أستاذ محاضر	مناقشا

الموسم الجامعي: 2023/2022

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى التي لها علي ألف فضيلة رسمية

ورسمت على جسدي دراسة أبدية

ورفعتني في الدرجة النخبوية

إلى أمي لكي مني دمي ومفتاح سعادتي الأبدية

لكي أثني وأثني ولن أمل حتى أراك عني رضية

إلى إخوتي منبع سعادتي الطفولية

ونظرات الحب الأخوية

أثني وأثني ولن تناولوا مقدار ثنائي أمي الغالية

وإلى روح أبي الطاهرة الزكية أن أكون قدوة لها في الأعمال الدنيوية

إلى منبع إلهامي الوفية زوجتي وأم أولادي بقربي بقية

إلى قرة عيني " ريهام "، " عبد البديع"، "ابتهال"

من عند الله هدية

و

إلى أسرتي التربوية على رأسهم مدير الابتدائية
إلى زملائي في الكلية كل بحروفهم الأبجدية.

فإهدائي يخص كل من صاحبني

صحبة أخوية

شكر وعرفان

يقول الله تعالى في محكم تنزيله"

﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾

فإننا نحمد الله على نعمه الجليلة وتسهيلاته الكثيرة

وتوفيقاته العديدة فله الشكر والحمد من قبل ومن بعد

وعرفانا منا وإقرار بإنجازنا هذا العمل بدعم الأستاذة المحترمة

المشرف الدكتورة مبارك فضيلة .أطال الله في عمرها وجزاها الله كل خير.

كما لا ننسى فضل الأستاذة الدكتورة بلخير خديجة التي ساهمت إلى حد كبير في تشبعنا بالزاد الفلسفي العربي الإسلامي فلها منا كل الخير.

وإلى كل أساتذة قسم الفلسفة الذين ساهموا في تكويننا،

فلهم منا أسمى عبارات الشكر و التقدير و الثناء

وشكرنا الكبير لكل المؤسسات التي كانت ميدانا لتعلمنا من الابتدائي إلى الجامعي

والى كل من ساهم من قريب أو بعيد في إنجاز هذا البحث

بل وإلى كل من سيتصفحه.

كما لا يفوتنا أن نتوجه بخالص الشكر إلى اللجنة المناقشة

لهذا العمل المتواضع.

مقدمة

مقدمة:

لقد كثُر الحديث عن التراث والتجديد في الكتابات الإسلامية والعربية، والذي يفرض استخدام العقل والنقد البنّاء في دارسة الفكر الغربي والفكر العربي الاسلامي.

إنها إحدى المهام العلمية التي جعلت بعض المفكرين العرب المعاصرين وعلى رأسهم المفكر المصري حسن حنفي إلى تأسيس علم جديد يُمَكِّنه من دراسة الغرب والتعرف على نقاط قوته وضعفه دون إقصائه وتدمير ثقافته.

وهذا العلم علم الاستعراب ما هو إلا مناعة قوية تحصن هويتنا الحضارية من سلبيات الاستشراق والمستشرقين، بتخليص الفكر من أزمة التفوق الحضاري الغربي وبناء الهوية الحضارية العربية الاسلامية، باستخدام منهجية علمية حديثة، وإجاد طرائق عقلية وأنساق منطقية تضمن له الديناميكية والفعالية، حتى لا يبقى مجرد أثر لماضٍ عريق وحسب، وبالتالي سبيلا إلى مواكبة روح التقدم والتحضر الفكري، ومن ثم النهوض والارتقاء بهذه الأمة وإخراجها من حالة التردي والضعف ونكسة التخلف المفروض في مجالات مختلفة.

مما سبق ذكره، ندرك أهمية الموضوع والذي نعتقد أننا مازلنا في حاجة ماسة إلى مثل هذه الدراسات التي تتعلق وتركز بصفة جوهرية على تحرير التراث من القراءات القديمة من خلال تجديده وإعادة بنائه بآليات وطرق عصرية تواكب الواقع، الأمر الذي جعل من مساهمات حسن حنفي أن تجد لنفسها صدى قويا ومؤثرا في الأوساط الفكرية العربية الإسلامية وحتى العالمية.

من جهة أخرى نعتقد أن جدية الموضوع تكمن في أنه كان من المفكرين العرب المعاصرين اللذين حاولوا قراءة التراث قراءة موضوعية، بعيدة عن كل تعصب وتأويل إيديولوجي أو ديني.

الإشكالية:

لعل من أهم المشاريع الفكرية والفلسفية هو مشروع علم الاستغراب ، كمشروع حضاري ينطوي على فلسفة واعية، مواكبة لحركية المجتمع العربي الإسلامي، قد حملت مفاهيم جديدة تدخل في تحليل مفهوم التراث، التجديد، الاستشراق، الاستغراب، الآنا، الآخر، المركزية الأوربية ... فهناك جدلية قائمة في قراءة وتحليل هذه المفاهيم المختلفة من حيث البنية والتحليل النقدي المنطقي، وربما لو قرأنا التراث لوقفنا على أصول مفاهيمية ذات بعد منطقي كثيرة تحقق الإبداع الفكري العربي الاسلامي داخل المجتمعات، و كل مفهوم من هذه المفاهيم لا يمكن دراسة إحداهما بمعزل عن الآخر، وبهذا نصبح أمام إشكالية محورية في صلب قضايا الفكر العربي الاسلامي تتمثل في :

إلى أي مدى يمكن اعتبار علم الاستغراب مشروعا له حضوره في مواجهة الآخر وسيطرته؟ أو بمعنى آخر هل علم الاستغراب مَكَّنَ من انتقال الآنا من ذات مدروسة إلى ذات دارسة مقابلة لها؟ وهل هو مشروع حضاري نهضوي؟

أما عن المشكلات الفرعية الجزئية فتتمثل في:

- **كيف أسس حسن حنفي مشروع علم الاستغراب ؟**
- **ماهي البنية الفكرية للمشروع؟**
- **وهل لمشروعه بعد نهضوي؟**

فرضيات البحث:

إنّ الفرضيات التي ننطلق منها لإثبات الإشكالية المطروحة فتتمثل في الأفكار التالية:

إن التقدم الحاصل الآن في كثير من البحوث العلمية المساعدة على التفكير النقدي البنّاء في الفكر العربي الإسلامي، من شأنه أن يجعل موضوع علم الاستغراب يحتل حيزا كبيرا لدى المفكرين العرب المهتمين بالتراث والتجديد قصد مساءلته واستنهاضه واستكشاف حدوده وإمكاناته ودراسة مشكلاته، وهذا لا يكون سهلا وآليا، بل يقتضي إبراز بنيته وخصوصيته المنطقية التي تساعد على صياغة وبلورة تصورات ومفاهيم واضحة ودقيقة بعيدة عن التأويلات الذاتية، وقد لا يختلف اثنان في كون حسن حنفي يفكر في سياق معين ويرمي إلى بلوغ أهداف محددة من وراء هذا التفكير، وعلى الرغم من اختلاف شكل المعالجة، فقد وضع اهتمامه في التعامل مع

التراث وكيف نظر إليه فهل هو مجرد حقبة زمنية مرت وانقضت أم يمكن لهذا التراث أن يعيد بناء الواقع ويجدده من خلال الربط بين الماضي والحاضر فإن المتأمل في قضايا الفكر العربي الإسلامي المعاصر، سيكتشف المحاولة الجادة والجديرة بالتقدير التي قام بها حسن حنفي في استخدام آليات التجديد بغية تحقيق الموضوعية التي تعتبر شرطا أساسيا في كل دراسة علمية والتي تستجيب لكل أشكال البحث الفلسفي، نكتشف بأن منهجية حسن حنفي كانت قائمة على استقلال الذات العارفة وتوخي الحذر والوعي الذاتي في إصدار الأحكام دون التقليد واجترار القديم البالي، حيث تحول التراث عبر مشروعه من مناقشة التراث إلى مناقشة النظام الفكري الفلسفي العميق، أو الأنظمة الفكرية المنتجة للتصورات المنطقية في التراث، إن لم تكن هي أولى بالنقد والمراجعة، على أية حال كانت محاولة حسن حنفي أصيلة منطلقة من التراث يمكنها أن تتوافق وتنسجم مع الحداثة المعاصرة.

لقد كان لهذا المشروع صدى واسعا وكبيرا بين عامة النخب الفكرية في العالم العربي والإسلامي، بل وعدّه البعض مرحلة حاسمة للحداثة.

ولتحليل هذه الإشكالية والتحقق من صدق فرضياتها، اقترحنا ثلاثة فصول رأيناها مناسبة.

الفصل الأول :سميناه مشروع علم الاستغراب (مراحله وأسسه) مستندا فيه على ثلاثة مباحث: أما المبحث الأول فقد تناولنا فيه مرتكزات المشروع (الجبهات الثلاث) بحيث يقسم حنفي هذه الجبهات أولها موقفنا من التراث القديم وثانيها موقفنا من التراث الغربي وآخرها موقفنا من الواقع وكل موقف من هذه المواقف له أقسام عدة حسب خصوصية كل جبهة .

والمبحث الثاني خصصناه في علاقة الآنا بالأخر والوعي بمسالة تحقيق أمن فكري واستنطاق هذه العلاقة لكونها حجر أساس لمشروع الاستغراب.

أما المبحث الثالث فقد تناولنا فيه مسألة جدلية الوعي والواقع وبداية ظهور مشروع يواجه علم الاستشراق ليزيل به عقدة التبعية المركزية الأوربية حيث سيطرت الحضارة الغربية على الفكر العربي، وجعله في المسار الأدنى بدلا من النهوض به ووصوله إلى الازدهار والرقي.

الفصل الثاني :جاء بعنوان بنية فكر حسن حنفي لعلم الاستغراب واخترنا له ثلاث مباحث: فالمبحث الأول تمحور حول آليات التجديد وجعلها طريقا للتغيير بغية النصر والاستقلال الفكري.

أما المبحث الثاني فقد تناولنا فيه **الرؤية الفكرية للموقف الحضاري في فكر حسن حنفي** والتي يضع فيها حسن حنفي العرب في التاريخ ، بين ماضيهم ومستقبلهم بين غيرهم وبين مثلهم و واقعهم و ما يطمحون إليه و لهذا يرى حسن حنفي أن الوعي التاريخي هو أساس الوعي الحضاري

أما المبحث الثالث فقد تناولنا فيه موقف حسن حنفي من القراءات التراثية والمنطلقات المنهجية وذلك بإعادة فهم التراث حتى يمكن رؤية الواقع ومكوناته على خلاف القراءات الثلاث دعاة القديم ودعاة الجديد ودعاة الجمع بين القديم والجديد

أما الفصل الثالث والأخير بعنوان أبعاد المشروع الذي يحتوي على ثلاثة مباحث وهي:

المبحث الأول: فقد أبرزنا فيه المقاربة التحليلية في التراث لكل من محمد أركون ومحمد عابد الجابري فما يجمع بين أركون والجابري هو اتفاقهما وانشغالهما حول مسألة التراث، مشروع الاسلاميات التطبيقية ومشروع (نقد العقل العربي)

أما المبحث الثاني فقد جاء نحو تحقيق مشاريع فكرية عربية وضرورة التجديد والتحديث لمواجهة المسخ الثقافي، حاولنا فيه قراءة الواقع وقراءة جهود المفكرين وما قدموه من أفكار خلاقة، والدعوة لخطاب ثقافي فكري جديد يعني الثورة لأنه تحرير للعقل والمنهج والرؤية، ينتج عنه تحقيق الحلم.

أما المبحث الثالث فهو باب أدرجنا فيه الرؤية النقدية لمشروعه بين التأييد والرفض

الدراسات السابقة:

كما استندنا في بلورة هذا البحث على على بعض الدراسات السابقة من المفكرين العرب مثل: دراسة ناهض حتر: التراث الغرب الثورة – بحث حول الأصالة و المعاصرة في فكر حسن حنفي الدراسة التي أجراها خالد هلال المطيري: المجددون و التجديد في الإسلام، قراءة نقدية للتراث بالإضافة إلى الدراسة التي قام بها جيلالي بوبكر: حسن حنفي و مشروع التراث و التجديد – أسس المشروع و بيانه النظري– كذا دراسة مصطفى النشار تحت عنوان : فلسفة حسن حنفي – مقاربة تحليلية نقدية .

أسباب اختيار الموضوع:

أما عن أسباب ودوافع اختيارنا لهذا الموضوع فيمكن حصرها في الأسباب التالية:

الأسباب الموضوعية:

بالأساس تتمثل في أهمية التراث وإعادة بناءه وفق أسس ومقومات وأطروحات جديدة، قد تؤسس لتحليل منطقي عقلاني، يقوم على الموضوعية والعمق النقدي التحليلي التفكيكي، والابتعاد عن الأحكام المسبقة والتصديق المتسرع، وكذلك بالرغم مما يثار حوله من نقاش وجدل باعتباره مجدد وغير مستهلك للفكر الغربي، ويحمل فكر حضاري نهضوي تنويري، ومطلع على الفكر الغربي لتحقيق هذه النهضة وإحداث هذه الثورة الفكرية والإبستمولوجية، والدعوة إلى التحرر الفكري والابتعاد عن الانغلاق الثقافي والحضاري، وانفتاح الفكر العربي الإسلامي.

الأسباب الذاتية:

منها أن الموضوع يمثل ميلا خاصا بي وهو ميلي إلى البحث في الفكر العربي الإسلامي المعاصر من خلال صلته بالفكر الغربي المعاصر لتحديد الحدود الإبستمولوجية لتتراث، وإبراز خصوصيتة وبنيته المنطقية، والاجتهاد في إبراز الصور المنطقية التي شيّدها حسن حنفي تجاه هذا التراث، انطلاقا من ثقافته الموسوعية المتشبّعة بروح الإسلام والعمق والتسامح الفكري وإحداث القطيعة مع رواسب الماضي والدعوة إلى التجديد والإبداع في مجالات فكرية متنوعة.

منهجية البحث:

لا شك أن أي علم لا يعرف بموضوعه فقط ولكن بمنهجه، هنا يكمن اختيار المنهج المناسب لتفسير وفهم أية حقيقة، لذا اعتمدنا **المنهج التحليلي النقدي** المبني أساسا على آليات التحليل المنطقي في مناقشة هذه الإشكالية، وما يتضمنه من خطوات منهجية تفرض على الباحث التحلي بالموضوعية والاعتماد على منطق العقل والتحليل والنقد، والاعتماد على الاستدلال والاستنتاج والمقاربة بين المفكرين، واستخدامهما لآليات النقد المنطقي البنّاء لا الإيديولوجي المنغلق تجاه تصورات وإرهاصات فكرية متحجرة تجاه دين أو ثقافة معينة.

.فقد جعل حسن حنفي من التراث الغربي الإسلامي حقلا شاسعا للتنقيب والبحث، وعمل على إقامة ورشات خاصة للغوص في أعماق التراث

❖ **الفصل الأول: مشروع علم الاستغراب (مراحله وأسسه)**

- **المبحث الأول: مرتكزات المشروع (الجبهات الثلاث)**
- **االمبحث الثاني: علاقة الآنا بالأخر والوعي بمسالة تحقيق أمن فكري**
- **المبحث الثالث: جدلية الوعي والواقع وبداية ظهور مشروع يواجه علم الاستشراق**

علم الاستغراب قضية من القضايا الشائكة والمتشعبة التي شغلت الفكر العربي وأدخلته في متاهات يصعب الخروج منها، وعلى هذا فقد كان للمفكرين العرب المعاصرين إسهاما كبيرا في معالجتها، و نجد المفكر المصري" **حسن حنفي** " الذي كان له رأيه الخاص حيث أنه حاول من خلالها التطرق إلى الوضع الراهن الذي يعيشه العرب ومحاولة معالجته، من خلال الارتكاز على الجبهات الثلاث في مشروعه الحضاري " **علم الاستغراب** " ومن هنا يمكننا طرح التساؤلات التالية :**ماهي هذه الجبهات الثلاث؟ وكيف يرى الأنا والأخر؟ وما هو دور علم الاستغراب في هذه الجدلية؟**

ينطلق حسن حنفي في تأسيس مشروعه علم الاستغراب من التراث كونه العنصر الأساسي في عملية التجديد، فيعمل على تفسيره وتحليل كل ما يحتويه من أفكار ومعارف وعلوم بكل فروعها وأقسامها، متجاوزا بذلك الجانب الظاهري اللفظي منه وصولا للمعاني الجوهرية الدفينة فيه.

المبحث الأول: مرتكزات المشروع (الجبهات الثلاث)

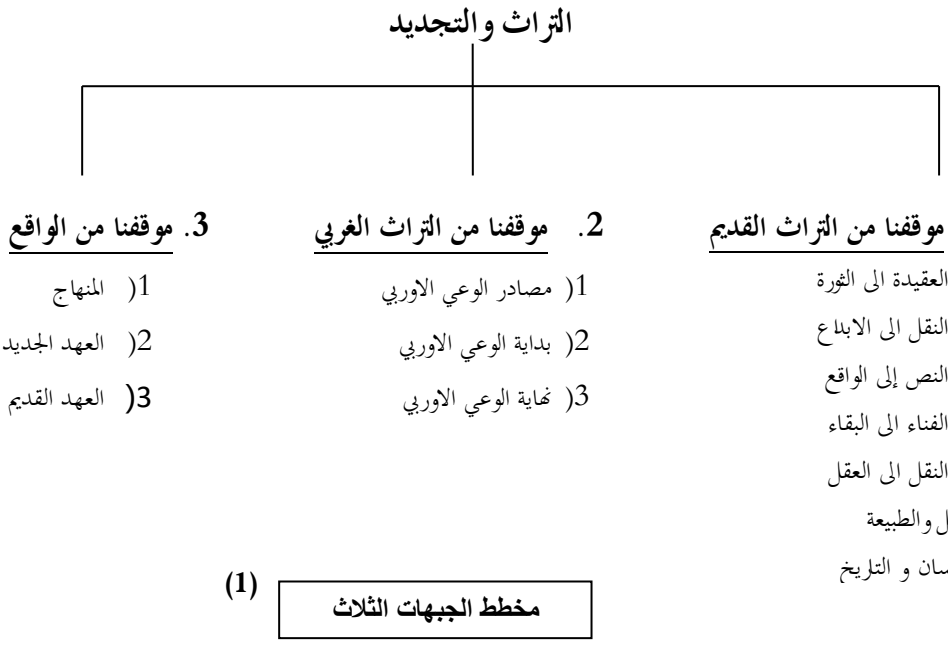

مخطط الجبهات الثلاث (1)

[1]– حسن حنفي، مقدمة في علم الاستغراب، الدار الفنية للنشر والتوزيع، د ط، 1411 هـ 1991م القاهرة، ص 11.

1- الجبهة الأولى: موقفنا من التراث القديم

يرتكز حسن حنفي في عملية إعادة بناء العلوم القديمة على الحضارة كونها المصدر الأساسي في نشأتها بالرجوع إلى أسسها، و مرتكزاتها، و أبنيتها المختلفة، و البحث في أعماقها بالتعرف على الظروف التي نشأت فيها، و المناهج التي قامت عليها و اللغة المستعملة آنذاك لأن كل ما كان ماضيا هو امتداد للحاضر ثم المستقبل و جزء لا يتجزأ منه، لذلك « لا يمكن فصل حاضر الأمة التراثية التاريخية عن ماضيها ، و هو أمر طبيعي فالماضي و الحاضر كلاهما معاشان في الشعور»[1] .

يقسم حنفي هذه الجبهة الأولى موقفنا من التراث القديم من مشروعه إلى **ثمانية أجزاء**، على كل جزء منها يخص علم من العلوم التقليدية، كالتالي:

القسم الأول: (من العقيدة الى الثورة): حاول من خلاله إعادة بناء علم أصول الدين، كونه أكثر العلوم صلة بالوحي، وأولها ظهورا من بين العلوم الاسلامية الأخرى، ويتم ذلك حسبه بالانتقال من علم الله إلى علم الانسان .

يعرف حسن حنفي علم أصول الدين أنه: «العلم الذي يرمي إلى إثبات العقائد الدينية بالأدلة اليقينية أي تأسيس العقيدة الإسلامية على أسس عقلية برهانية حتى يمكن فهم العقيدة وعرضها والدفاع عنها. »[2]

شدد حنفي أيضا على وجوب التمحور حول العقل بدل النقل كونه المخلص الفعلي من هذه الوضعية المتردية، وبذلك يكون علم الإنسان بمسماه الجديد قادر على الإحاطة بالواقع الاجتماعي والثقافي والسياسي.. للإنسان واحتوائه «ويكون علم أصول الدين قد حقق الهدف المرجو منه وهو اقامة علم نظري من أجل توجيه الواقع »[3]

---

[1] – جيلالي بوبكر، تجديد أصول الفقه في مشروع حسن حنفي (الامتداد و المكانة) ، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية و الانسانية ، العدد 15 ،كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية، جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف، جانفي 2016 م، ص 22 .

[2] – حسن حنفي، موسوعة الحضارة العربية الاسلامية المجلد 2، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، ط 1، 1986م، بيروت ص 7 .

[3] – المصدر نفسه، ص 73 .

القسم الثاني: (من النقل الى الابداع): تمثل في اعادة بناء الفلسفة التقليدية و إظهار قيمة الفلسفة الإسلامية القديمة التي حظيت بتقدم كبير في حركة الترجمة و التأليف في زمن مضى نتيجة التقاء الحضارتين الإسلامية و اليونانية. « »[1] و نفي الادعاءات و الاتهامات الكاذبة التي تنص أن الفلسفة الإسلامية صورة طبق الأصل عن اليونانية و هي مجرد امتداد لها مبني على عملية النقل و التقليد.

وضح حنفي وجهة نظره بقوله: « و كتبت "**من النقل الى الابداع**" لدحض شبهة أن علماء المسلمين كانوا نقلة عن اليونان ، مترجمين لعلومهم ، شارحين لمؤلفاتهم و ملخصين و عارضين لها. »[2] مما استدعى إعادة تأسيسه على مرتكزات محكمة و سليمة بعيدا عن النقل الكلي للمعارف، و الترجمة الحرفية للعلوم الغربية و كل مظاهر التقليد الأعمى للغرب دون إضافة أو تغيير، و توضيح آراء المفكرين و المترجمين بالتفسير و الشرح و التأويل ، التي يعاني منها الفكر العربي اليوم ، و لتجاوز هذه العقبة كان لابد من استخدام عدة مناهج تسمح بدراسة فلسفة الحضارة، و تساهم في إعادة بنائها بالشكل الصحيح. من بينها المنهجين التاريخي و البنيوي.

القسم الثالث: (من النص إلى الواقع) : حاول حنفي في هذا الجزء إعادة بناء علم أصول الفقه التقليدي «وهو العلم المنهجي الذي استطاع تحويل الوحي الى منهج استنباطي استقرائي ... من حيث هو علم مستقل»[3] ليصبح تحت مسمى المنهج الأصولي، اهتم فيه حنفي بالواقع و دراسة الأوضاع الاجتماعية و الفكرية.. و كل ما له علاقة بالإنسان المعاصر، أي أنه أعطى الأولوية للواقع على حساب النص الديني، و يتم دراسة هذا العلم لإعادة بنائه بمقاييس جديدة بعدة طرق تتغير بتغير المادة العلمية للنص.

اختار حنفي منهج تحليل النصوص الذي ساعده في معرفة نشأة و تطور هذا العلم و المراحل التي مر بها منذ نشأته وصولا إلى مرحلة التطور، كما «أنه اختار الانتقال من تحليل

1 – حسن حنفي ، التراث و التجديد، ،موقفنا من التراث القديم ،المؤسسة الجامعية لدراسات النشر و التوزيع ،لبنان ط4 ،سنة 1992م، ص 177 .

2 – حسن حنفي ، من النص الى الواقع ج – 1 (تكوين النص)، مركز الكتاب للنشر ، ط 1، 2004 م، القاهرة ، ص 8 .

3 – حسن حنفي ، التراث و التجديد ، مصدر سابق ، ص 178 .

النصوص بإتباع قواعد الاستدلال لاستنباط الأحكام إلى تفسيرها و فهمها بردها الى الواقع و التجارب الانسانية الاجتماعية»[1]

القسم الرابع: (من الفناء الى البقاء) : إعادة بناء علم التصوف القائم على المنهج الوجداني و الإحساس الداخلي للإنسان اذ يعرفه بأنه : «تجربة ذاتية و ممارسة عملية و ليس تصورا ذهنيا يمكن تحديده منطقيا في قضية»[2]

فالتصوف علم ذاتي كونه يرتبط بالجانب الشعوري للإنسان ارتباطا وثيقا، « والشعور يمثل حجر الأساس لهذا العلم، كما أنه يكسب الإنسان استقلاليته. إلا أنه يشكل خطر على الإنسان و وجدانه المعاصر بسبب القيم السلبية التي تجتاحه كالصبر، و التوكل ، الرضا ، القناعة ، الخوف ، البكاء... »[3] لذلك قصد استعمال منهج تحليل الخبرات الشعورية لإخضاع التجارب الإنسانية للاختبار لمعرفة مدى صدقها أو زيفها و مدى تطابقها مع شروط العلم الجديد بعد بنائه.

القسم الخامس: (من النقل الى العقل): خصص هذا القسم لإعادة بناء العلوم النقلية الخمسة المتمثلة في: (علوم القرآن، الحديث، التفسير، السيرة، الفقه)، «حرصا منه لإسقاط المادة القديمة التي غلب عليها الطابع التكراري والأحكام المنسوخة، الثابتة على مر الزمن وغابت فيها الدلالة»[4] «أما في علوم السيرة يجعل الأولوية للكلام لا الأشخاص، وفي علم الفقه تكون الأسبقية والأحقية للمعاملات ليس للعبادات»[5]

القسم السادس: (العقل والطبيعة): يتعلق هذا الجزء بالعلوم الرياضية: كالجبر والهندسة والفلك..، والعلوم لطبيعية: كالكيمياء والطب والصيدلة...، التي أجرى عليها التغييرات اللازمة ليكون بناؤها الجديد ينطبق على مقاييس العصر ومستجداته، وذلك« بالانتقال من الصورية والمادية التي ميزت

1 – حسن حنفي ، من النص الى الواقع، مصدر سابق ص 24 .

2 – حسن حنفي، من الفناء الى البقاء محاولة لإعادة بناء علوم التصوف ، ج 1 ، دار المدار الاسلامي ، ط 1، 2009 م، بيروت ، ص 844 .

3– فهد بن محمد السرحاني القرشي ، منهجية حسن حنفي ، بيروت: دار ابن الجوزي, دط،2001 ، ص 396 .

4 – حسن حنفي، التراث و التجديد، مصدر سابق ص 179 .

5 – فهد بن محمد السرحاني القرشي، منهجية حسن حنفي، مرجع سابق ، ص 397 ، 398 .

هذه العلوم إلى الارتكاز على الجانب الشعوري، ويكتمل ذلك بعد معرف وظيفة الوحي في توجيه الشعور نحو الطبيعة.. والادراك التام لموجهاته».[1]

القسم السابع: (العلوم الإنسانية): وفيه يتم إعادة بناء علوم النفس والاجتماع والسياسة والتاريخ والجغرافيا واللغة والأدب بحيث يتم التعرف من خلالها على وظيفة التوحيد في الشعور وتوجيهه إياه نحو الإنساني الفردي والاجتماعي، وبالرغم من أن هذه العلوم قد ظهرت من قبل في العلوم الدينية الأربعة إلا أنها حاولت أن تكون علوما مستقلة تعتمد على البحث والاستقصاء دون الاعتماد على الحجج النقلية،« مهمة هذا الجزء إذن هي معرفة كيفية توجيه الوحي للشعور نحو الإنساني وكيفية تحويل الوحي ذاته إلى علم إنساني»[2] .

القسم الثامن: (الإنسان والتاريخ): سعى حنفي في هذا الجزء لنقل الحضارة الإسلامية إلى طور جديد أحسن مستوى وأكثر تطورا مما هي عليه، حيث عمل على وصف نشأتها وبنائها وتطورها وتأسيس وحدة للعلوم. «لإخراجها من الحيز المنعزل والدائرة المغلقة التي تحجب عنها مظاهر التقدم والتطور الموجود خارجها ويتحقق ذلك حسب حنفي بالانتقال من الاهتمام بالله إلى الاهتمام بالإنسان كونه العامل الأساسي في عملية النهضة والتطلع للأفضل »[3]

2- الجبهة الثانية: موقفنا من التراث الغربي

نجد أن حسن حنفي يقول: « تحديد موقفنا من التراث الغربي، هو جزء من حركة التاريخ وتطور الحضارة "كما أنه واجب وطني وقومي من أجل تأصيل موقفنا الحضاري، والقيام بالحركة التي لم نقم بها حتى الآن وهي معركتنا مع الثقافة الغربية الوافدة».[4]

يسعى حسن حنفي في الجبهة الثانية من مشروعه إلى إقامة حضارة إسلامية جديدة مكملة للحضارة الإسلامية القديمة، بعد نقد هذه الأخيرة وتقييمها لتسجيل نقاط الضعف والقوة، وتحديد سلسلة الأخطاء التي سببت ركودها أو عجزها ومنعت سيرها قدما. ثم تصحيحها وتداركها

1 – حسن حنفي، التراث و التجديد، مصدر سابق ، ص 179 .

2 – المصدر نفسه ، ص 180 .

3 – حسن حنفي ، التراث و التجديد ، مصدر سابق ، ص 180 .

4 – ناهض حتر التراث ، الغرب، الثورة، بحث حول الأصالة والمعاصرة قي فكر حسن حنفي، شقير وعكاشة للطباعة والنشر، عمان الأردن – د ط، 8986 ، ص 143 .

فتقوم على مقاييس ومؤهلات متطورة ومغايرة على التي سبقتها، خاصة وأنها في مواجهة التراث الغربي. لذا نجد حنفي يسلط الضوء على التراث العربي القديم وينادي للالتفات إليه واحتوائه، ويحدث ذلك بالمعرفة الكلية الشاملة لحيثياته، والوصول إلى البؤر المطوية منه، والوعي التام بمصادره وأصوله وكل ما له علاقة به، لمجابهة التراث الأوروبي الوافد، ويتم ذلك « بدراسته على أنه تاريخ وليس خارجه، وأنه تجربة بشرية ومسار حضاري شأن غيره من التجارب، و رد الغرب الى حدوده الطبيعية و القضاء على عالميته. »[1] إذن كان لابد من تحديد و ضبط موقفنا تجاهه التراث الغربي كونه جزء لا يتجزأ من التكوين الحضاري للعصر الحالي، «مهمة هذا القسم بيان حدود الثقافة الغربية و محليتها بعد أن أدعت العالمية و الشمول، و إخراج أوروبا من مركز الثقل الثقافي العالمي »"[2])

تنقسم هذه الجبهة إلى ثلاثة أجزاء، كل جزء منها يمثل فترة معينة من فترات الفكر الغربي الأوروبي و قد حددها حسن حنفي بالشكل التالي:

القسم الأول: مصادر الوعي الأوروبي: الذي ينقسم بدوره إلى فترتين

تمثل الأولى **بداية نشأة التراث الغربي** الذي استند في ظهوره على عدة خلفيات حضارية سابقة عليه أو تشاركه الحقبة الزمنية. منها ما هو معلن كالمصدر اليوناني الروماني والمصدر اليهودي المسيحي، « ومنها ما هو مستتر كالمصدر الشرقي القديم و البيئة الأوروبية ذاتها»[3] ولا يُذكَر الأصل الشرقي القديم على الإطلاق قبل الأصلَين الأوَّلَين، ولا يُذكَر الأصل الإسلامي قبل النهضة الحديثة؛ وذلك لأن الغرب قد اعتبر اليونانَ أصلًا عبقريًّا على غير مثالٍ؛ إذ لم يسبقهم أحدٌ، وكأنَّ الهند لم تُؤسِّس المنطقَ الصوري في البوذية، ولم تُسهِم في نشأة علم الحساب. وكأنَّ فيثاغورس وطاليس لم يَكونا على اتصالٍ بالنِّحْلات الشرقية، وكأنَّ أفلاطون لم يَدرُس الرياضيات في مصر، ولمَّا كان الغرب وريثَ اليونان فقد ظل نسيجًا عبقريًّا مثلَه، على غير منوال.

1 – هيثم الجنابي ، الفكرة الحضارية عند حسن حنفي 02 فلسفة الاستغراب رد حضاري أم تأويل لاهوتي ، صحيفة المثقف ، العدد– 5104 ، 26–08– 2020م .

2 – حسن حنفي ، التراث و التجديد ، مصدر سابق ص 181 .

3 – حسن حنفي، مقدمة في علم الاستغراب، مصدر سابق، ص116 .

إن الدور الذي تلعبه هذه الفترة حدده بقوله: «وأهمية هذه الفترة ترجع إلى أن الوحي الاسلامي قد أصدر أحكاما عليها فيما يتعلق بصحة الكتب المقدسة أو سلامة العقائد الدينية أو سلوك أهل الكتاب. »[1] مما يثبت صحة الوحي الإسلامي و صدق ما جاء به و ما يحمله جوفه من عقائد دينية و أحكام شرعية.. عكس ما يروج له البعض من أكاذيب وألاعيب تحاك قصد طمسه وتشويهه.

أما المرحلة الثانية في القسم الأول من التراث الغربي كانت «محاولة لتاريخ الفكر الغربي فقد ظهرت فيها كل من الفلسفتين المسيحية و اليهودية على يد عدد كبير من المفكرين، الذين اهتموا بمعالجة مختلف الإشكاليات التي يواجهها الإنسان خاصة في جانبه الديني العقائدي. كما تم الالتفاف فيها إلى الحضارة الإسلامية « و أهميتها أنها هي الفترة التي كانت وعاء للحضارة الاسلامية بعد أن تمت ترجمتها »[2] لأن الحضارة الإسلامية كانت في ذروة تطورها و ازدهارها في تلك الفترة.

القسم الثاني: بداية الوعي الأوروبي: الذي انقسم إلى مرحلتين متتاليتين، جمعت المرحلة الأولى حقبتين من الزمن و مستويين من مستويات الفكر الغربي الأوروبي هما الإصلاح الديني و عصر النهضة امتدت من **(القرن 15 عشر حتى القرن 6.)**

عرفت هذه الفترة تغير جذري في وعي الإنسان الغربي الذي رفض بدوره سلطة الكنيسة وسيطرة رجال الدين و اعتنق سلطة العقل، قاد ثورة ضد نظام الحكم و سياسة تكميم الأفواه و تكبيل الأيادي و تعطيل العقول و تعمية العيون، و كل ما له صلة بسلب حقوق الإنسان و اضطهاده و اغتصاب حرياته و نهب ثرواته و استغلاله باسم الدين ، و المطالبة برد الاعتبار له و رفض كل ما هو مقدس لخلاص الإنسان من سجن القديم، بقيت محاولاته مستمرة إلى أن نال مبتغاه و مطلبه « و أعلن استقلال الإنسان عقلا و إرادة ، فهما و سلوكا، نظرا و عملا. وأعطى الأولوية للحظة على الديمومة، و للباطن على الظاهر، و الأخلاق على العقائد. »[3]

1 – حسن حنفي، التراث و التجديد، مصدر سابق ، ص 181 .

2 – المصدر نفسه ص 182 .

3 – حسن حنفي ، مقدمة في علم الاستغراب ، مصدر سابق ص 229 .

أما المرحلة الثانية كانت **العصر الحديث (القرن 17 حتى القرن 18)**، شهدت هذه المرحلة تطورا كبيرا و قفزة نوعية في الوعي الأوروبي، بالانتقال من الوضع المتأزم إلى عصر التأليف ، حيث تكاثر عدد الفلاسفة و المفكرين رغم اختلاف الطرق التي يسلكها كل منهم و المناهج التي يسيرون عليها بين ما هو عقلاني و تجريبي، إلا أن الهدف الذي يجمعهم واحد هو المصلحة العامة للفكر الغربي باكتشاف الحقائق و تحقيق تطور أكبر.

القسم الثالث: نهاية الوعي الأوربي: (القرن 19 الى القرن 20) يخص بالنسبة للعصر الحاضر وهو محاولة لدراسة تاريخ الشعور الأوربي في لحظته الأخيرة في القرن التاسع عشر والقرن العشرين حيث يحاول الفكر أن يجمع بين الاتجاهين المثالي والمادي فأفقد الشعور توازنه « في رؤية الظواهر حتى أتت الفينومينولوجيا فاكتملت المثالية الأوربية وعاد الخطّان المنفرجان إلى الشعور من جديد. وتحول الموضوع إلى الذات حتى قضى نهائياً على الصورية والمادية... فإذا كان القسم الأول من التراث والتجديد وهو موقفنا من التراث القديم، قد أغلق بداية شعور العالم الثالث كطليعة للتاريخ فإن القسم الثاني موقفنا من التراث الغربي، يعلن عن نهاية الشعور الأوربي، وتخلّيه عن دور القيادة للتاريخ البشري»[1] ، و كان الهدف من هذه الجبهة« وضع الفكر الغربي في مكانة تناسبه بدل تعاليه و تعديه الحيز الذي يمثله أي تحجيم الفكر الغربي و دراسته دراسة تحليلية نقدية و البحث عن مصادره و أصوله خاصة المصدرين العقلاني و التجريبي للخروج بنتائج تحدد موقفنا منه ، إضافة إلى القضاء على اغتراب المثقفين» [2] أو بمعنى آخر العمل على عكس الأدوار و المهام ،« ليصبح الغرب موضوع للدراسة و المعرفة بنفس الطريقة التي خلق منها الغرب الاستشراق نخلق نحن الاستغراب لدراسة أصول ، ومراحل و هيكل، و مستقبل الفكر الغربي ليلاحظ الغرب صورته في مرآة البقية و يتجرد من الشخصية التي خلقها لنفسه »[3]

1 – حسن حنفي، التراث والتجديد، مصدر سابق، ص 183.

2 – فهد بن محمد السرحاني القرشي، منهجية حسن حنفي، مرجع سابق، ص 406 –407.

3 – Hassan Hanafi , L'islam et la modernité , Islam et Progrès , Universitat oberta de catalunya , Septembre 2010 , p 13

3- الجبهة الثالثة: موقفنا من الواقع

يسعى حسن حنفي بواسطتها إلى إعادة تأسيس الحضارتين الإسلامية و الغربية بالرجوع إلى أصولهما الأولى في الوحي، و تفسير هذا الأخير طبقا للحضارة الإنسانية الحالية و تماشيا مع العصر الجاري لخدمة الإنسان و سد احتياجاته أي رد الوحي إلى علم إنساني خالص، هذا لا يتم إلا عن طريق نظرية محكمة في التفسير تكون منطقا للوحي، فكلا الجبهتين السابقتين تخضعان للتفسير لأن كل موضوع تتناوله إحداهما لابد من إخضاعه لعملية التفسير للخروج بنتائج صائبة و تجاوز الخاطئ منها « التفسير اذا هو النظرية التي يمكن بها اعادة بناء العلوم و التي يمكن بها تحويل طاقة الوحي الى البشر ، و صبها في الواقع و تحديد اتجاهها الحضاري بالنسبة للثقافات المعاصرة »[1] .

يرغب حنفي في تجاوز التفاسير السابقة و تخطي التحليلات المتداولة التي تناقلها البشر بين بعضهم بشكل آلي ثابت لا يخضع للفحص و التمحيص لكشف الصحيح من الخاطئ ، ليستبدلها بمناهج جديدة للتفسير مأخوذة من التراث الغربي كالفينومينولوجيا.

فتكون «بمثابة إيديولوجيا نضالية ثورية تتخذ من تفسير (تأويل) الدين (النص) مرجعية لها في تغيير الواقع و إصلاح المجتمع و في مقاومة مختلف أشكال القهر و الاستعباد و الظلم و الفقر و التخلف»[2] تتفرع هذه الجبهة الى ثلاث فروع رتبها حنفي على هذا الشكل:

القسم الأول: المنهاج: هو محاولة لوضع نظرية جديدة للتفسير تجمع النظريات والمناهج التفسيرية السابقة (العقلية، الواقعية ...) «ليكون الواقع الشعوري نقطة البداية في عملية تحليل و تأويل مختلف التجارب الحية عقليا للوصول الى معان يقينية يتم ادراكها بالحدس».[3]

هذه الطريقة تساعد على معرفة الأخطاء التي تسببت في ركود الواقع و تأزم الوضع الراهن و التمحور حول القديم بما فيه من أخطاء، و كل ما أدى إلى فشل عمليات التجديد و الإصلاح

---

1 – حسن حنفي، التراث و التجديد ، مصدر سابق، ص 184.

2 – الشريف طوطاو، هيرمونطيقا النص القرآني في منظور اليسار الإسلامي (حسن حنفي أنموذجا) ، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث ، 2015 م ص4 .

3 – حسن حنفي ، التراث و التجديد ، مصدر سابق، ص 185 .

المتتالية و محاولات تغيير ثوب القديم و الاطلاع للجديد، كذا يسمح بمعرفة زلات المنهج المتبع «فالبحث عن المنهاج هو نهاية التراث و التجديد و بغيته الأولى ، محاولة للعثور على منهاج اسلامي عام لحياة الفرد و الجماعة »[1] فالوسيلة الأساسية لتجديد التراث و استقام حال البلاد العربية و الإسلامية و وقوفها على قدميها من جديد هو« إعادة بناء العلوم القديمة كما نص عليه في كتابه التراث و التجديد للبيان النظري الأول»[2]

القسم الثاني: العهد الجديد: أراد حنفي في هذا القسم إخضاع الوحي من بدايته إلى نهايته (التوراة والانجيل بوجه خاص) «للتحليل والتفسير للكشف عن صحة ما جاء فيه، وللفهم الصحيح والمبسط لنصوصه وأحكامه، وتكثيف نسبة الوعي لدى الباحث، والإعراب عن الهفوات والغلطات التي وقع فيها الشراح والمفسرون، أو كل تحريف وتشويه اقترف عمدا للنصوص المقدسة». [3]

القسم الثالث: العهد القديم: في هذا القسم يخضع كتاب العهد القديم المقدس لعملية التنقيب والتمحيص في طياته وثناياه، والإفصاح عن أي زيادة أضيفت له أو نقصان حذف منه، ثم التمييز والمقارنة بينه وبين بقية الكتب اليهودية، «لمعرفة ما قاله أنبياء بني اسرائيل وما نطق به الأحبار والملوك، ثم تتبع مسار تطور العقائد اليهودية ترتيبا زمنيا تاريخيا »(4)

1 – حسن حنفي ، التراث و التجديد ، مصدر سابق ، ص 185.

2 – Ahmed abdel halim atteya , la philosophie et la révolution en egypte , dogma (revue de philosophie et de sciences humaines , faculté des lettres – université du caire traduit de L'arabe pour mouna saraya) , octobre 2013 , p 16 .

3 – حسن حنفي، التراث والتجديد، مصدر سابق، ص 184.

4 – المصدر نفسه، ص 185.

المبحث الثاني: علاقة الأنا بالأخر والوعي بمسالة تحقيق أمن فكري

يعد جدل الأنا و الآخر من بين أبرز المسائل التي حضيت بالدراسة و التمحيص في الفضاء الفلسفي العربي الإسلامي المعاصر، بالنظر للفاعلية الكبيرة التي يتسم بها هذين المفهومين الإجرائيين داخل بوتقة الفكر العربي، وبحكم الحتمية الفطرية التي تفرض على الإنسان عامة ، وجوب الأخذ بأسباب التفاعل الإيجابي المحقق لمقتضيات الرقي الإنساني المأمول هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإن هذه المعادلة الثنائية شكلت و مازالت تشكل صلب سجالات الفكر العربي وراهنيته وهاجسه المفتوح على مصرعيه للنقاش والمساءلة كتجل من تجليات البحث عن سبل الخلاص من مأزق التخلف عبر إثارة جدل الأنا و الآخر، توسيعا للأفاق الاستشرافية قصد تجديد الرؤى و تحديث المفاهيم التراثية و إعادة بعثها من جديد.

لا يكاد يخلو مشروع نهضوي عربي من هذه الثنائية لأن الغرض من كل هذه الجهود في رأينا هو تجديد الإنسان و إصلاح وعيه الجمعي، خصوصا ذلك الذي يتعلق بسؤال الأنا و الآخر و إعداده لإمكانية تبني طروحات الممانعة الفكرية وتحقيق الذات من جهة دون تقليد أو إتباع يضيق أفق الإبداع و التخلي عن النرجسية القاتلة لروح الاجتهاد، والتي أسرت العقل العربي في قفص الأنا الجامدة المفتقدة لشغف الاكتشاف وتطوير الذات ومنه تجديد الخطاب الثقافي بكل مستوياته من جهة أخرى، فحسن حنفي عكف على استنطاق مفهوم الأنا والآخر كحجر أساس صلب لمشروع الاستغراب، وهذا ما سنتطرق إليه في معرض مبحثنا هذا ، وقبل هذا سنتطرق لمفهوم **الأنا** ؟ وما هو الآخر؟ وما هي طبيعة العلاقة بينهما؟ أي ما هي الطبيعة الجدلية القائمة بين **الأنا** والآخر لحسن حنفي؟

سبب ما تعانيه حضارتنا الراهنة من تغيرات، هي بالأحرى ارتدادية، ويزداد الضغط بضعة من التساؤلات الثقافية التي كانت قد ألحت بإمعان، و ارتدت محاولة الإجابة في كل مشاريع نخبوية عديدة يزخر بها الفكر العربي المعاصر ولكن كانت قضية "**جدل الأنا و الآخر** " أو

منظومة التقابل بين الشرق و الغرب أو طبيعة المواجهة بين الحضارة العربية والإسلامية و بين الحضارة الأوروبية و الأمريكية واحدة من أهم تلك التساؤلات. [1]

1- مفهوما الأنا والآخر

-**مفهوم الأنا:** « وتعني الذات العرب أو المسلمين» [2] . وهذا ما ذكره حنفي، فالعرب هم الأنا و لقد ظهر هذا اللفظ للدلالة على التبادل في تاريخ الفكر الفلسفي، كما نقصد به جوهر الذات العربية، أي الشرق أيضا«».

ورد مفهوم الأنا في لسان العرب **لغة أنها:** اسم مكني وهو للمتعلم وحده، وإنما يبين على الفتح فرقا بينه وبين أن التي هي حرف جر ناصب للفعل. والألف الأخيرة إنما هي لبيان الحركة في الوقف.[3] والملاحظة في هذا التعريف أنها تدل على وصف المذكر و المؤنث خاصة بالمتكلم الفرد وحده عاكسة لشخصيته و سلوكه.

-**مفهوم الآخر** : «جاء في لسان العرب **لغة** : بمعنى أحد الشيئين وهو اسم على أفعل و الآخر بمعنى غيره كقولك رجل آخر ، وثوب أخر ،وأصله أفعل من التأخير فكلما اجتمعت همزتان في حرف واحد استثقلنا فأبدلت الثانية ألف سكونها و انفتاح الأولى قبلها » [4]

أما حسن حنفي يرى بالنسبة للذات المصرية كان الآخر يمثل الغرب، الذي كان يبين من خلاله نموذج التقدم والتخلف ومصدر القيم الحديثة فهذا الآخر بالذات هو الذي يقوم باستعمار و احتلال الوطن العربي ومن هنا فالأخر كان هو الغرب، فهو الخصم و العدو.

وقد تم إدخاله إلى الوعي المصري من خلال مجموعة من الباحثين كحسن حنفي الذي يعتبر الأخر هو المرآة العاكسة للأنا فيقول «وكأن الأنا تعكس نفسها إلا في مرآة الأخر فلا تعي ذاتها

1 – أحمد عبد الحليم عطية: جدل الأنا والآخر، قراءات نقدية في فكر حسن حنفي في عيد ميلاده الستين ،مكتبة مدبولي الصعيد ، دار عبد ربه للطباعة الحومدية، ط1، 1997م، ص 181.

2 – حسن حنفي، حصار الزمن الحاضر (إشكالات)، مركز الكتاب للنشر، مصر ،ط 1 2004م، ص 446 .

3 – ابن منظور لسان العرب، المجلد الأول ،دار صادر، بيروت، لبنان ، ص 38 .

4 – المرجع نفسه ، ص 39 .

بذاتها إلا من خلال الآخر كمقياس ومعيار للحكم" ، فقد يرتبط مفهوم الآخر و الاستشراق و الهوية ،العرقية ،فهذا مفهوم يتحدد حسب الذات مما يجعل الأخر مختلفا » [1]

كما عرفة أيضا حنفي في كتاب حصار الزمن ،« يعني الآخر الغرب الأوروبي أو الغرب الأمريكي وليس الشرق الأسيوي خاصة اليابان والصين » [2] ومن هنا نستنتج أن الأخر هو الغرب وأن الآنا هو الشرق حسب حنفي .

2 –العلاقة بينهما:

إن الجدل القائم بين الأنا و الآخر ليس مرده إلى وجود إشكالية العلاقة بين الاثنين فحسب كما هو في فكرنا القديم و يتكرر في فكرنا المعاصر بل يتعد الأمر كذلك بصورة الأنا و صورة الآخر من حيث الدقة و الشمول، من حيث الكفاية و النقص من حيث السلب و الإيجاب [3]. سنحاول في هذا قراءة بين السطور بغية القبض على معالم العلاقة الضمنية بين الأنا والآخر كما تصورها حسن حنفي.

أولا يجب معرفة أن جدل العلاقة القائمة بين الآنا و الأخر، جدل قديم قدم البشرية حيث تعود جذوره إلى بداية الخلق الأول في الأرض، بوجود آدم عليه السلام وحواء. ثم أخذ يتطور مع تقدم الزمن وزيادة وعي الإنسان وإدراكه لما يحيط به.

يرى حسن حنفي أن طبيعة العلاقة بين الأنا و الآخر علاقة جدلية وتضاد لا علاقة تماثل دون أن ينفي هذا ضرورة النظر فيها و تماثلها وإكمالها وهو يميز بين طبيعة الحضارة " الأنا الإسلامية، وحضارة الأخر الغربية"، والخلاف بينهما هو خلاف بين طبيعتين، فحضارة الغرب كما يقول حضارة ذات طبيعة طردية أي نشأة بالطرد المستمر من المركز و رفضا له. وكتطور صرف وهو تطور صرف دون بناء «ولا توجد ماهية مسبقة له كما هو الحال في الوعي الإسلامي ولهذا يضفي طابع على طابع تفكيرها المنهج التاريخي كما ظهر في المدرسة التاريخية و الماركسية في العلوم التاريخية التي سميت بالعلوم الاجتماعية ثم الإنسانية، على حين أن

1 – حسن حنفي ، مقدمة في علم الاستغراب، مصدر سابق، 35 .

2 – حسن حنفي، حصار الزمن الحاضر، مصدر سابق ص، 446 .

3 – جيلالي بوبكر ، التراث و التجديد، بين قيم الماضي ورهانات الحاضر، قراءة في فلسفة حسن حنفي،وفي مشروعه الحضاري، المجلة الثقافية الجزائرية.19 /11/ 2011 م .

حضارة "الأنا" حضارة ذات طبيعة مركزية ماهوية، أي ذات ماهية مسبقة ، ولهذا فهي متمركزة حول رسالتها و عقيدتها الأولى، إنها تنتج علومها من أصول الدين وأصول الفقه و التصرف حول مركز واحد ، وهي تنطلق في هذا المركز وتبدع من خلاله». [1]

فمن خلال هذا نرى أنه أراد أن يؤكد ذاتية الأنا باتخاذ موقف نقدي من ثقافة الآخر فأراد أن يقدم الأنا بصورة مختلفة لما كانت عليه أي لما يراه الآخر وأن الأنا مرجعيها الأساسية هو الدين أي أصول الدين والشرع الإسلامي كما سماها عقيدتها الأولى، أما الآخر فتوجهها اجتماعي إنساني.

فيظهر التقابل بين الأنا والآخر في العلوم وعلوم الدين وعلوم الدنيا فلقد تفوقت الأنا في علوم الدين في حين تفوق الآخر في علوم الدنيا و الأنا صاحب العلوم الشرعية و الآخر صاحب العلوم الدنيوية فإن «سبب ضعف الأنا هو ضياع هذه العلوم منها وعرف الآخر الدنيا فعرف الدين و عرف الأنا الدين فجهلت الدين والدنيا معا» [2]

إن هذا يبين نظرته للعلوم الدينية و العلوم الدنيوية فهو يرى أن الغرب عن طريق دراساتهم المتواصلة و الاكتشافات العديدة، فقد فرق بين العلم و الفن مثلا وقد أبدعوا في كليهما لكننا وحدنا بينهما و تأخرنا في هذا، كذلك فالآخر قد أبدع وبرع في العلوم الطبيعية و الرياضية، لكن هذا لم يجعله يسلك طريق الاهتداء أي طريق النجاة في الآخرة.

فالأنا أيضا قد برعوا في العلوم الدينية لكن مع الأسف لم يهتدي إلى طريق الصلاح في الدنيا.

ولقد لخص حنفي أهم ما وجد في كتاب تلخيص الابريز في ثلاث نقاط:

- الأنا إطار جغرافي للأخر «إذ لا توجد جغرافيا لباريز في ذاتها بل بالمقارنة مع جغرافية الإسكندرية أو القاهرة التي يطلق الطهطاوي عليها اسم مصر» [3]
- الأنا مرجع تاريخي للأخر ذلك أن التاريخ هو لوصف الأنا لا لوصف الآخر وما الآخر إلا مناسبة لإظهار الأنا .

[1]– أحمد عبد الحليم عطية ، جدل الأنا و الآخر مرجع سابق ، ص166 167.

[2] – حسن حنفي، جدل الأنا والآخر دراسة في " تخليص الإبريز " للطهطاوي، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، 2008م ص11.

[3] – الطاهر لبيب، صورة الآخر العربي ناظرا أو منظر إليه، مركز الدراسات الوحدة العربي، ط1، بيروت ، 1999م ،ص90.

- الآنا يعرب الآخر « فقد استطاعت الأنا تعريف الآخر أكثر مما استطاع الآخر فرنسة الآنا، إذ تطهر لغة الأنا وكأنها الحاوي للغة الآخر» [1]

فالغرب عند الطهطاوي هو «المرأة المثالية التي تنعكس فيها عيوب الذات، فهو ليس موضوعا للدراسة ،بل الظهر الأسود للمرآة التي لا تعكس شيئا»[2] . فهو يرى أنه ليس عيبا أو تحيزا أو خروجا عن الموضوعية رؤية الآخر في مرآة الأنا يرى أن الحق مقياس للحكم وكذلك الامتحان العقلي، وعلى أساس هذا يتجاوز الأنا النقص و التبعية و الاستسلام للآخر إلى القوة والعظمة والعدالة وبالتالي « تجاوز عقدة النقص التاريخية في جدول الأنا و الآخر، على مستوى اللغة والثقافة والعلم وبالتالي التخلص من الخوف والجرأة و في قلب المائدة في وجه الخصوم، فخير وسيلة للدفاع هي الهجوم» [3]

والهجوم هنا لا يعني تدمير الثقافة الغربية، و إنما على العكس من هذا التعريف على مكوناتها الأساسية ورد عناصرها إلى منابعها وهذا يتضح في حديث «لا ينبغي السيطرة أو الهيمنة بل ينبغي فقط التحرر من أسر الآخر حتى يوضح الأنا و الآخر على نفس المستوى من الندية والتكافؤ». [4]

وهنا يصبح علم الاستغراب في نظر حنفي العلم الوحيد القادر على استرجاع الوعي الضائع بالأنا في حضارة الآخر والذي يهدف إلى فهم الآخر في إطاره وتطوره التاريخي ليصبح مجرد موضوع وليس نقطة إحالة و إعادة بناء إيجابيا الحضارة العربية بوصفها نابعة من التراث الإسلامي، استعدادا لانتقال دورة الحضارة من الآخر، حيث يقول حنفي «أن مهمة هذا العلم الجديد هو إعادة الشعور للأوروبي إلى وضعه الطبيعي و القضاء على اغترابه، و إعادة توجيهه إلى واقعة الخاص من أجل التحليل المباشر له، وأخذ موقف بالنسبة لهذه الحضارة يضنها الجميع

[1] – الطاهر لبيب: صورة الآخر العربي ناظرا أو منظر إليه، ،مرجع سابق ص190 .

[2]–المرجع نفسه، الصفحة نفسها .

[3] – حسن حنفي، ماذا يعني علم الاستغراب، دار الهادي للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2000م، ص44.

[4] – حسن حنفي، ماذا يعني علم الاستغراب مصدر سابق، ص51.

مصدر كل علم، وهي في الحقيقة غازية لحضارة أخرى ناشئة نشأة ثانية أو تعيش إحيائها ونهضتها»[1]

كذلك الاستغراب كعلم يهدف إلى «فك العقدة التاريخية المزدوجة بين الأنا و الأخر، وتصحيح النظرة ذات البعد الواحد التي تتصور الآخر شيطانا أو ملاكا بعيدا عن الحقيقية الموضوعية» [2]. لأن كل رؤية أحادية الجانب إلا و تسمح الغير وتجعله رهين الأهواء وحبيس نرجسية الأنا و الآخر.

«فمهمته القضاء على الإحساس بالنقص أمام الغرب، لغة، ثقافة ،علما»[3] . وذلك بالقضاء على مركب العظمة لدى الآخر الغربي ليس بالتلقين والاتهام بل بتحويله من ذات دارس إلى موضوع مدروس و القضاء على مركب النقص لدى الأنا بتحويله من موضوع مدروس إلى ذات دارس.

ومن خلال هذا يرى حسن حنفي أن الآخر سوف « يتوقف عن التضخم و التمدد ولانتشار حينما تكون الذات قادرة على حسم خيارتها و تحديد أولوياتها، وعلى التعايش مع الوعي الخاص بفردانيتها و حظروها الأنطولوجي المستقل لأن فهم الآخر لا يمكن ان يكون مثمرا وبناءا إذا ما ظلت الذات عاجزة عن تجديد خانات قوتها وضعفها، وغير قادرة على الغوص في أعماقها مالا يستطيع الآخر فهمه ولو أنفق كل كنوز المعرفة برمتها »[4]

إذن لكي يتحقق النجاح و التفوق على الآخر سياسيا واقتصاديا وثقافيا يجب حضور الفكر العربي انطولوجيا وكذا إبراز قدرته على تحقيق مشروع نهضوي عربي متكامل معنى «الفكر العربي المعاصر إنتاجنا الفكري منذ فجر النهضة العربية حتى الآن».[5]

كذلك يمكن القول بأن حسن حنفي يريد من خلال دراسته أن يقوي الأنا أو ما يطلق عليها بالذات وأن يصنع شيء من الإبداع لكي يكون هناك تجديد. كذلك نرى أن حنفي صحيح أنه رافض للوافد الغربي وانه ليس كالذين اهتموا بالغرب فبدل أن يدل المفكر و الباحث صورة

---

[1] – حسن حنفي، قضايا معاصرة في فكرنا المعاصر، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت لبنان ط2، 1983م، ص 07 .

[2]– حسن حنفي، مقدمة في علم الاستغراب، مصدر سابق، ص29 .

[3]– حسن حنفي، مقدمة في علم الاستغراب، مصدر سابق ،ص29 .

[4]– المصدر نفسه، ص 51 .

[5]– حسن حنفي، هموم الفكر والوطن، مصدر سابق، ص51.

الآخر في ذهنه رأى صورة في ذهن الآخر، بدل أن يرى الآخر في مرآة الأنا رأى الأنا في مرآة الآخر، ولما كان الآخر متعدد المرايا ظهر الأنا متعدد الأوجه ، وهذا ما أطلق عليه حسن حنفي بالاستغراب المقلوب والذي يرى من خلاله أن المسلم يصبح أسير النظرة الأوروبية إلى الإسلام وتراثه و ثقافته. فيصبح ذلك الشخص (المسلم) يرى أو ينظر للإسلام من نظرة الآخر أي قراءة التراث الإسلامي من منظور الجزء الدخيل مما يطمس خصوصية التراث المقروء.

بالرغم من كل هذا إلا أنه ليس من دعاة الانغلاق الفكري وهو أيضا رافض لما يسمى بالانغلاق فنجده في مختلف كتاباته يدعو إلى الانفتاح على الآخر، يقول في هذا الصدد فكلما وعى الإنسان التراث القديم وزاد إحساسه بمشاكل العصر لجأ إلى التوفيق أو الاجتهاد وأنا في كل مرة أجد أنني أستعير أو أقتبس بعض النظريات الحديثة لأجعل ثقافتي الإسلامية قادرة على مواجهة تحديات العصر ألجأ إلى هذا الاجتهاد ،«ولقد فعل العلماء والقدماء هذا حتى في مسألة التأويلات للعقائد الدينية فلم يرو حرجا على الاطلاع في الحديث على الله في صفاته وذاته و أفعاله باعتبار أن ذلك كله مجاز وكل ذلك قياس للغائب على الشاهد» [1].

«كلنا شعوب تعتمد على غيرها من الكساء والسلاح و العلم فإن التنمية المستقلة تصبح هدفا قوميا عاما وطلبا وطنيا بحيث تحرير الإدارة الوطنية من الضغوط الأجنبية ، بتوجيه التنمية المستقبلية ،تنمية المواد الطبيعية و البشرية اعتمادا على الذات» [2] وهنا الهدف هو تحقيق التنمية المستقلة وهنا يأتي دور الذات في العمل على تطوير الثروات الطبيعية المادية و البشرية، والعمل على استغلالها للتخلص من التبعية و الاعتماد على الآخر خاصة في المواد و الأولية مثلا : الأكل واللباس...

3- مسار الأنا والآخر:

إن مسار الأنا مر بثلاث مراحل وكل مرحلة من المراحل كانت لها خصائص خاصة بها «ويمكن تمثيل مسار الأنا بخط بياني يكشف مراحل ثلاثة كل منها سبعمائة عام انتهت اثنتان وبدأت الثالثة على الأولى حتى القرن السابع، وتنتهي بابن خلدون الذي أَرَخَ لها . والثانية من

[1]- حسن حنفي، اليسار الإسلامي والوحدة الوطنية ، مكتبة مدبولي، القاهرة ،1988 م ،ص47.

[2]- حسن حنفي، المشروع الحضاري الجديد ضمن المشروع الحضاري العربي، مجلة الوحدة، السنة العاشرة، العدد 105، مارس1994م، المجلس القومي للثقافة العربية، ص23.

القرن الثامن حتى الرابع عشر والتي انتهت بعصر التحرر من الاستعمار . والثالثة التي بدأت منذ عشر سنوات من القرن الخامس عشر حتى القرن الواحد و العشرين»[1]

فالمرحلة الأولى هي مرحلة ظهور الإسلام وبداية الحضارة الإسلامية.

والمرحلة الثانية وصفها بمرحلة توقف العقل عن الإبداع أي هنا أصبح الإنسان يسجل العلوم القديمة.

أما المرحلة الثالثة فهنا بداية النهوض بالنسبة للحضارة الإسلامية يقول حنفي « ولعلها سائرة إلى ذروة ثانية تشابه الذروة الأولى في القرنين الرابع و الخامس الهجريين، وهي الفترة التي سميناها فجر النهضة العربية الإسلامية والتي مازلنا نعاصر بدايتها بعد أن عاصرنا نهاية المرحلة الثانية وبداية الثالثة ، نهاية الاستعمار وبداية التحرر»[2]

إذن تميزت المرحلة الثالثة بالحروب والاستعمار أي استعمار بلدان العالم الثالث ونتيجة لهذا ظهرت التبعية للدولة المتقدمة

مسار الآخر:

أما مسار الآخر وهو بدوره يمر بثلاث مراحل ولكل مرحلة خصائصه مميزات خاصة بها يرى حنفي أيضا أن للآخر أسبقية الوجود عن الأنا حيث يقول في هذا الصدد وبالتالي يكون مسار الآخر أقدم في الزمان من مسار الأنا بمرحلة ،المرحلة الأولى عصر أباء الكنيسة ، والثانية العصر المدرسي، والثالثة العصور الحديثة، وذلك طبيعي لأن مسار الأنا بدأ في القرن الميلادي فمسار الآخر له ثلاثة مراحل الأولى منها سابقة على مسار الأنا ،ومسار الأنا له ثلاثة مراحل ،الأخيرة منها تالية على مسار الآخر" [3]

إذن المرحلة الأولى مرحلة أباء الكنيسة أما الثانية مرحلة العصر المدرسي و الثالثة مرحلة العصور الحديثة.

---

[1]– حسن حنفي ،مقدمة في علم الاستغراب، مصدر سابق، ص697 .

[2] – المصدر نفسه ، ص 198 .

[3] – المصدر نفسه ، ص700.

5- تداخل مسار الأنا والآخر:

«ونظرا للتفاعل التاريخي المتبادل بين مساري الأنا و الآخر ، ونظرا للقرب الجغرافي على شواطئ حوض البحر المتوسط الجنوبي والشمالي حيث يقطن الأنا والآخر ونظرا لما يمثله كل منهما من تحد حصاري للآخر ،عندما يكون أحدهما في مرحلة الذروة و الآخر في مرحلة القاع يبين تداخلهما ثلاث مرات. »[1]

إن التفاعل التاريخي والقرب الجغرافي وكذا تداخل مسار الأنا و الآخر كل هذه الظروف خلقت نوع من الاحتكاك بينهما . فهنا أصبح تتشكل صور ذهنية لكليمها لكل طرف اتجاه الآخر أو عن الآخر لتبادل المسارين على الأقل مرتين بين الأنا و الآخر فقد كون كل منهما للآخر صورة ذهنية في وعيه متأثر به و مؤثر فيه، لقد كانت صورة الآخر الأنا صورة كريمة عاقلة مستنيرة وكانت صورة الأنا عبر مرحلتين الاثنين في وعي الآخر صورة كريمة مقيتة متخلفة. وهكذا كانت رؤية حنفي للأنا و الآخر.

ومن هنا نرى أن حنفي حاول أن يضع أسس علم جديد منهجه تحليل آخر في وعي الأنا وغايته التحرر منه ورد حدوده إلى وضعه الأصلي والطبيعي فحقق هذا الأخير نجاحا حيث يتمثل هذا الأخير في أن الوعي العربي أصبح واعي واضح الأسس ويمكن الاعتماد عليه في الثقافات العالمية.

[1] – حسن حنفي : مقدمة في علم الاستغراب ، ،ص703.

المبحث الثالث: جدلية الوعي والواقع وبداية ظهور مشروع يواجه علم الاستشراق

ظهر الاستغراب كرد فعل على الاستشراق الذي جاء لدراسة الفكر العربي و الحضارة الإسلامية و تشويه الفكر العربي ، و كان ظهور الاستغراب لرد الاعتبار للفكر العربي و الإعلاء من شأنه و توعية الفكر العربي ، بأخذ ما يصلح من الغرب و التصدي إلى كل ما يسبب خلل إلى الفكر العربي ، ولعل من أبزر الأعمال العربية الفكرية في هذا المجال ما جاء به حسن حنفي كتابه تحت عنوان مقدمة في علم الاستغراب وبهذا العمل الذي أ راد أن يدخل به إلى عمق الفكر الأوربي محاولا نقله إلى الفكر العربي وتطبيق مناهجه ويهيئ دراسة شاملة لما وصل إليه الفكر الغربي.

إن العلاقة بين الاستغراب والفكر الأوروبي الغربي، علاقة ذات صلة عميقة فالغرب هو المنتج للأفكار والاستغراب هو المحلل والناقد لتلك الأفكار، كما يهدف إلى جعل علاقة وطيدة بين الفكر العالمي، والفكر الأوربي، ويكون ذلك بإزالة المركزية الأوربية، وجعلها عالمية.

عمل علم الاستغراب على جعل روابط بين الفكر الغربي و العربي ومن المعروف أن أول أساس قام عليه الاستغراب هو «فك عقدة النقص التاريخية في علاقة الأنا بالآخر، والقضاء على مركب العظمة لدى الآخر الغربي بتحويله من ذات دارس إلى ذات مدروس، والقضاء على مركب النقص لدى الآنا بتحويله من موضوع مدروس إلى ذات دارس»[1] والقضاء على مركب النقص لدى الأنا بتحويله من موضوع مدروس إلى ذات دارس ، مهمته القضاء على الإحساس بالنقص أمام الغرب لغة وثقافة وعلما و كل المذاهب و النظريات و الآراء مما يخلق فيهم إحساس بالدونية.

«قد ينقلب إلى إحساس وهي بالعظمة كما هو الحال لدى الجماعات الإسلامية المعاصرة وفي الثورة الإسلامية في ايران وليس هذا إلا رد على مركب العظمة الدفين في الثقافة الغربية و الذي لا يخلو من عنصرية ثقافية صريحة ، أو ضمنية »[2] عن العلاقة القائمة بين علم الاستغراب والحضارة الغربية تتمحور حول التداخل بين الفكر العربي والفكر الغربي حيث يسعى هذا العلم إلى إزالة العقدة الكبيرة و هي التبعية الفكرية للغرب أي إزالة المركزية الأوربية الفكرية وجمع

1 – حسن حنفي – مقدمة في علم الاستغراب، مصدر سابق ص 29 .

2 – المصدر نفسه، الصفحة نفسها .

ثنائية مشتركة من خلال نقل الفكر الأوربي على الوطن العربي وهو الأمر نفسه بواسطة الاستغراب أي نقل الفكر الأوربي، إلى الوطن العربي وهو الأمر نفسه بواسطة الاستغراب أي نقل الفكر الأوربي، وتجسيده في الفكر العربي كما أن أهم ما

يسعى الاستغراب في جعل الحضارة الغربية متجسدة في الوطن العربي من خلال دراسة وتعمق في محتوى أفكارها ومعتقداتها حيث بين حسن حنفي في كتابة مقدمة في علم الاستغراب، أن الاستغراب يعمل على جعل حلقة تواصل بين ما هو غربي محافظا في الوقت نفسه, على ما هو عربي محض وذلك من خلال وقف أو الحد من الاغتراب الذي يحاول التوسيع في وسط الحضارة العربية حيث يقول« وتستطيع الجبهة الأولى **موقفنا من التراث القديم** ، أن تساعد في إيقاف التغريب بداية من إعادة بناء الأنا على نحو يقضي على اغترابها ولوقف التغريب الذي حدث للخاصة التي انفصلت عن التراث، لأنها لم تجد نفسيا فيه ولم تستطيع تجاوز لغته القديمة أو اعتبار نفسها مسؤولة عنه فلم تغير مستوياته أو تعديل محاوره أو تعيد الاختيار بين البدائل بل قبلت كضرورة لا مفر منها، مزاحمة الفكر الغربي لتراث الأمة ومكونها الرئيسي حتى نشب العداء بين أنصار القديم والجديد»[1]).

إن الانشقاق الذي وقعت فيه الفئة التي تخلت عن أصلها جعل منها تعيش في دوامة بين حاضر بعيد الوصول إليه وماضي صعب العودة إليه مما جعلها في صراع بين كل ما هو أصالي و معاصر، و لإزالة هذا الصراع ما كان من المفكرين إلا تجسيد علم الاستغراب للحد من الاغتراب الذي أوقع هذا الصراع بين القديم والحديث حيث أصبح الفكر العربي بواسطة علم الاستغراب محافظا على جوهره الأصلي وفي الوقت عينه أصبح ناقد ومحمل للفكر الغربي الذي عاناه من تبعيته من قبل، يقول حسن حنفي « بالرغم من انبهار الفكر الإسلامي الحديث بالغرب وأخذه كنموذج لتحديث من حيث الصناعة والتعليم والنظم و النظم البرلمانية والدستورية والعمران إلا أنه استطاع أن يكون ناقدا للغرب» [2])

1 – حسن حنفي، مقدمة في علم الاستغراب، مصدر سابق، ص 27 .

2 – المصدر نفسه ، ص 28 .

إن النقد الذي يقدمه علم الاستغراب للفكر الغربي، يعمل على التخلص من الجانب الغامض والمسيطر على الفكر العربي وفي ذات الوقت يهدف إلى إزالة العداوة بين الأنا العربي والآخر الغربي وجعل كل منهما مكمل للآخر ومنه تكوين علاقة ترابط بين الموضوع و الذات بين الدارس و المدروس، ويقول حسن حنفي في هذا «الاعتماد على الحركة الإسلامية في الآن في الغرب ,في هذا التمايز بين الأنا والآخر بين الإيمان و الكفر ,بين الإسلام والجاهلية، بين الله والطاغوت، ثم ترشيد العلاقة إلى نقد مستنير، و تحويل علاقة العداوة بين الأنا والآخر إلى علاقة عالم بمعلوم ذات بموضوع ,دارس بمدروس ، راء بمرئي ، ملاحظ بملاحَظ»[1] إن علم الاستغراب يسعى إلى بناء جسور بين كل شيء ونقيضه بغية الوصول إلى فكرة واضحة انطلاقا من التضاد الحاصل ,بين كل ما هو موضوع لدراسة وما هو دارس , إن هذا الهدف يقلل من حدة الصراع و السيطرة التي كان الفكر الغربي يفرضها على الفكر العربي ,انطلاقا من كون الفكر العربي فكر غير مجدي في حين أن الفكر الغربي فكر، متين وهو مواكب لجميع العصور عبر مراحل الأزمنة المختلفة .

لقد وفق علم الاستغراب في إزالة العقدة الأوربية وهي المركزية الأوربية التي تبنتها الحضارة الغربية عبر مراحل تاريخها وجعل من الفكر العالمي فكر خاضع لسيطرتها و أفكارها ومتبع لمناهجها, حيث جعل هناك ترابط, بين الأنا والآخر بين الذات و الموضوع, وعمل كذلك على جعل المفاهيم الغربية التي كانت غامضة واضحة و متمايزة وبديهية «إذ أن كل فكر يمتاز بمفاهيم ومصطلحات , تميزه عن غيره من الأفكار، ولفهم حقيقة الحضارات والأفكار يجب فهم المفاهيم المعتمد عليها ودراستها دراسة موضوعية لإزالة اللبس والغموض، يقول حسن حنفي "تصحيح المفاهيم المستقرة, والتي تكشف عن المركزية الأوربية من أجل إعادة كتابة تاريخ العالم من منظور، أكثر موضوعية وحيادا . وأكثر عدلا بالنسبة لمدى مساهمة كل الحضارات البشرية في تاريخ العلم». [2]

يرى حسن حنفي،إن علم الاستغراب في علاقته مع الحضارة الغربية عمل على إزاحة فكرة الغموض والإبهام من كل المصطلحات و المفاهيم و الماهيات التي لم تكن واضحة و

1 – حسن حنفي : مقدمة في علم الاستغراب مصدر سابق ، ص 28 .

2 – المصدر نفسه ، ص 38 .

صياغتها بشكل واضح و بطريقة موضوعية بعيدة كل البعد عن الذاتية , و جعل من الحضارة الغربية التي كانت متعالية بمبادئها و إرجاع كل حضارات العالم تحت رايتها, جعلها تحت راية فكر واحد حر, كما عمل هذا العلم على دمج الحضارة الغربية مع الحضارة العربية من خلال علاقة ترابط بين الأنا و الآخر حيث يقول حسن حنفي « أي حضارة ناشئة بالقديمة الحضارة الإسلامية , في مواجهة الحضارة اليونانية، أساسا ,وهو النموذج القديم لعلاقتنا بالغرب, حاليا كما أن علاقتنا بالغرب حاليا استمرار لنفس العلاقة القديمة، وان اختلف النموذج فإذا كان القدماء قد استطاعوا قراءة الآخر من منظور الأنا، فإننا حاليا نقرأ الأنا من منظور الآخر ولم نستطيع بعد أن نرد على الاستشراق» [1] أي أنه ومنذ القدم كان الفكر العربي يعاني التبعية الفكرية للغرب حيث انه من مهام الاستغراب هو إزالة التبعية الفكرية للغرب، وبهذا تكون العجلة قد تغيرت من التبعية إلى الحضارة الغربية وجعلها عالمية غير مقتصرة على الغرب الأوربي وبالتالي فإن العلاقة القائمة بين علم الاستغراب، و الحضارة الغربية تمثل كما يشير حسن حنفي «إلى ضرورة إحالة باستمرار إلى هاتين اللحظتين التاريخيتين في علاقة الأنا بالآخر، اللحظة القديمة في علاقتنا باليونان و اللحظة الحالية في علاقتنا بالغرب فالتحدي في كلتا اللحظتين ,كان من الغرب أما الجناح الشرقي فكان أضعف في كلتا الحالتين من الجناح الغربي» [2]، إن العودة إلى تاريخ بداية ظهور علم الاستغراب لم يكن يتمحور حول الحضارة الغربية فحسب، وانما كانت له روابط تاريخية مع الحضارة اليونانية، إلا أنه بصورة غير مباشرة وظهر جليا بصورة مباشرة في العصر.

الراهن يقول حسن حنفي «تمتد جذور علم الاستغراب إذن في نموذجه القديم في علاقة الحضارة الإسلامية بالحضارة اليونانية عندما كانت الحضارة الإسلامية ذاتا دارسا استطاعت أن تحول الحضارة اليونانية إلى موضوع دراسة فظهر الجدل بين الأنا والآخر جدلا صحيحا، الأنا ذات دارسا والآخر موضوع مدروس» [3] أي إن علم الاستغراب كان يشكل ترابط وتناسق مع الحضارات القديمة، إلا أنه في العصر الراهن قد اقتصرت علاقته ,بالحضارة الغربية ,وذلك نتيجة انتشار ظاهرة الاغتراب فجاء الاستغراب كرد فعل على الاغتراب يقول حسن حنفي "بدأت إرهاصات علم الاستغراب في جيلنا وتحدث الكثير منا عن إمكانية إنشاء هذا العلم بل ضرورة

1 – حسن حنفي : مقدمة في علم الاستغراب، مصدر سابق ص 49 .

2 –المصدر نفسه، الصفحة نفسها .

3 –المصدر نفسه ص 57– 58 .

ذلك حتى يساعدنا على الخروج من نطاق التبعية الثقافية للغرب، ولكن الغالب عليها أنها تعبير عن نوايا لعلنها جميعا، دون أن تتحول هذه النوايا إلى علم دقيق ،الاستغراب ليس فقط مجرد نقيض الاستشراق أو الاستشراق المضاد أو الاستشراق معكوسا، هو رد فعل على التغريب و محاولة انتشال الأنا الحضاري من الاغتراب في الآخر» [1])، إن الربط القائم بين الاستغراب و الحضارة الغربية ,يكمن في كون الاستغراب جعل من الأنا ذات كيان خاص وعدم تبعيتها للآخر بمعنى أن تكون الأنا هي الدارسة وليست المدروسة، فعلاقة بين الحضارة الغربية وعلم الاستغراب علاقة تداخل وترابط، حيث عمل الاستغراب على إزالة كل ما هو غامض في الحضارة الغربية وجعلها واضحة المعالم وغير مقتصرة في الفكر الأوربي فحسب بل يجب أن تكون عالمية بصورة واضحة للفكر العربي والعالمي.

إن من أهم الأهداف التي يقوم عليها علم الاستغراب، هي أن يزيل عقدة التبعية المركزية الأوربية حيث سيطرت الحضارة الغربية على الفكر العربي وجعله في المسار الأدنى بدلا من النهوض به ووصوله إلى الازدهار و الرقي.

إن هذه التبعية التي جعلت من الفكر العربي فكر غير موثوق به وليس ل ظهور عالميا ، ما جعل حسن حنفي ومجموعة من المفكرين العمل على إظهاره فكان علم الاستغراب التي تعددت ظروف ظهوره فهو يهدف إلى إعادة الفكر الأوربي إلى حجمه أو مكانه الطبيعي، و منح الفكر العربي مكانته الخاصة و جعل منه فكر واضح المعالم و نظرياته قابلة للتأويل و التحليل, ولعلى من أبرز ما جعل حسن حنفي يقدم على علمه الاستغراب «إدراكه تماما أن إنتاج صياغة لعلم الاستغراب لا يمكن بلورتها إلا في سياق جعله نقيضا للاستشراق, كذلك فإنه سعى لإيجاد مفاهيم للاستغراب من خلال إعادة إنتاج مفهوم الاستشراق بل إن مفهوم الاستغراب تسرب إلى ذاكرة حسن حنفي من خلال الطريقة التي تشكلت بها المعرفة الغربية عن المجتمعات العربية، في مراحل الأعمار المختلفة لها» [2])

1 – حسن حنفي: مقدمة في علم الاستغراب ، مصدر سابق ، ص 62–63 .

2 – ممدوح بر يكّ الجازي، مجلة مركز دراسات الوحدة العربيةٌ منطلقات النظريةٌ الأساسيةٌ لمفهوم الاستغراب في فكر حسن حنفي centre For arabumit .

إن الاستشراق عمل على إظهار الفكر العربي بصورة سيئة وأنه فكر لا يقدم للبشرية أفكار صحيحة وواضحة ,مما جعل الدكتور حسن حنفي يعمل على إخراج علمه أي علم الاستغراب كرد فعل على ما وصل إليه الفكر العربي من تهميش و إلغاء من الفكر العالمي، حيث عمل علم الاستغراب على إعادة الاعتبار إلى الذات العربية المهمشة التي كانت خاضعة للفكر الغربي و بالتالي فإن حسن حنفي قد جسد علمه في كيان الحضارة الغربية، و قيامه بنقد و تحميل كل الأفكار السائدة في الحضارة الأوربية الغربية من أجل« تفادي الوقوع في سياج هوية حضارية عربية متشنجة رفضة للغير بحكم مسبق وبفكر نصف قطعي لا يقل صعوبة عن قطيعة محدودة للعقل الأصولي ، السلفي المحرم للاجتهاد و التعقل والمواكبة »[1])

الحضارة العربية يجب أن تكون حضارة راقية وواضحة المبادئ وذات وعي مميز حيث إن هدف حسن حنفي من تأسيسه لعلم الاستغراب هو إعادة الاعتبار للوعي العربي المهمش و للحضارة العربية التي يسودها الغموض و الرجعية بسبب كل من الاستشراق وعلم الاغتراب، حيث إن الوعي العربي قد عانى ويلات الاستعمار الذي طمس هويته وبين للعالم بأنه فكر همش ولا يقدم للبشرية أي منفعة وأنه فكر رجعي مرتبط بالتراث القديم وهو فكر لا يواكب تطورات العلم الحاصلة في العالم العربي،

الهدف الأسمى من علم الاستغراب هو إعادة الذات العربية إلى ذاتها وموضوعها وابعادها عن الخضوع للفكر الغربي، فهو يعمل على إزالة الشوائب عن الذات العربية «جاء علم الاستغراب على نحو تكون فيه الأنا العربية نزيهة من تلوث الاستشراق الغربي الاستعماري غير المباشر بعيدا عن مواقف رد فعل المتمركزة على محور غطرسة الذات نحو فكر عربي نهضوي همه الأوحد هو مواكبة العالم و دخول التاريخ مع صون الأنا دون ضرر أو إضرار»[2]

يعمل علم الاستغراب على تنظيف الأنا العربية من ما لحقها من شوائب وتشويه نتيجة الغطرسة التي مارسها عليها الفكر الأوربي طيلة قرون خلت وقد وضع علم الاستغراب عدة

1 – عبد الله سيفٌ، ثقافة الاستغراب في الفكر العربي المعاصر، مجلة جامعة تشر ينٌ للبحوث والدراسات العلميةٌ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانيةٌ مج 36 العدد 5، 2014 م ص 321 .

2 – مرجع نفسه, ص 321 .

أهداف للدفاع عن الوعي العربي وجعله وعيا مستنيرا يمكن الاعتماد عليه, وتمثلت الأهداف فيما يلي:

-1 القضاء على أسطورة الثقافة العالمية التي نسجها الغرب حول ثقافته.

2 -يساعد هذا العلم على أن تنهي الثقافة العربية دورها في الاقتصار على الترجمة والتعميق والشرح والتلخيص للثقافة الغربية

إن تجسيد هذه الأهداف في الفكر العربي يجعل منه وعي عربي ناضج وقوي المبادئ بعيد عن كل ما لصق فيه من تزييف وتهميش والعمل على إعادة تفعيله من خلال فتح المجال للإبداع والابتكار، حيث يظهر ذلك في الدافع الأساسي والرئيسي الذي جعل من الدكتور حسن حنفي يعمل على تقديم عمله مقدمة في علم الاستغراب بشكل واضح في الحضارات العربية.

«إن الجوهر المبرر الذي دفع المفكر حسن حنفي لتأليف كتابه الشهير مقدمة في علم الاستغراب كان سعيا منه لتأسيس مرجعية عربية إسلامية كبوتقة تصهر فيها جميع الإبداعات العربية ,برؤية عقلية وبنزعة عربية واثقة تتطلع إلى عرض الذات بصورة حضارية أمام الآخر كبدء في إثباتها عالميا كذات فاعلة و مؤثرة في القرار العالمي ,وذلك بدخول التاريخ ومواكبة العالم في صيرورته بالتنقيب على خصال الشعوب و امتيازاته» [1]

إن علم الاستغراب يعمل على إدراج الوعي العربي من خلال ما قدمه من نقد و تحميل للأفكار الغربية الأوربية حيث يسعى حسن حنفي إلى الإعلاء من شأن الوعي العربي ومجابهة الشوائب التي لحقته والغموض الذي كان سائد فيه.

رسم حسن حنفي خطة للنهوض بالفكر العربي من خلال إعادة ربط كل ماضي بما حاضر هذا من جهة ومن جهة أخرى عمل على مواجهة خطر الاغتراب الذي اضمحل في الفكر العربي« نشأ علم الاستغراب في مواجهة التغريب الذي امتد أثره ليس في الحياة الثقافية و تصوراتنا للعالم بل امتد إلى أساليب الحياة اليومية و نقاء اللغة و مظاهر الحياة العامة و فن العمارة » [2]

1 – عبد الله سيفّ الاستغراب في الفكر العربي المعاصر, مرجع سابق, ص 324 .

2 – حسن حنفي ، مقدمة في علم الاستغراب ، مصدر سابق ، ص 50 .

فقد جاء التغريب لتحويل كل ما هو عربي إلى غربي ,وقد تأثر المجتمع العربي بما وصل إليه المجتمع الغربي حيث ظهر ذلك في جميع مرافق الحياة و بل حتى مظاهر العقيدة و اللغة , فلم يعد للغة العربية وجود .

لقد ساهم علم الاستغراب في التخلص من تلك الشوائب التي لحقت الحضارة العربية، وقد ترتب عن علم الاستغراب أثار في الوطن العربي تمثلت في:

1) «السيطرة على الوعي الأوربي أي احتوائه بداية ونهاية نشأة وتكوينا وبالتالي يقل إرهابه لأنه ليس بالوعي الذي يقهر فيتحول الدارس إلى مدروس و الذات إلى موضوع ولا نصبح فيه ضائعين ، أي جعل الفكر الأوربي فكر ينحصر في الحضارة الغربية فقط ومحاربة سيطرته على العالم العربي، وذلك بجعل الفكر الأوربي لا يخرج عن حجمه الطبيعي .
2) دراسة الوعي الأوربي على أنه تاريخ وليس خارج التاريخ وذلك بدراسته وفق الأحداث التاريخية التي مرت عليه ولا يمكن دراسته خارج عن التاريخ .
3) رد الغرب إلى حدوده الطبيعية و إنهاء الغزو الثقافي و إيقاف هذا المد الذي لا حدود له، وارجاع الفلسفة الأوربية إلى بيئتها المحلية التي نشأت منها» [1]
4) القضاء على أسطورة الثقافة العالمية و اكتشاف خصوصيات الشعوب» ، العمل على جعل كل فكر يسير في مجاله الخاص ,و يفرض عليه احترام خصوصيات الثقافات العالمية الأخرى.
5) «إفساح المجال للإبداع الذاتي للشعوب الغير الأوربية و تحررها من هذا الغطاء الذهني و هذه البنية العقلية حتى تفكر الشعوب بعقليتها الخاصة» [2] .

إذا يعود الفضل إلى علم الاستغراب الذي ساهم بشكل كبير في إدراج الهوية و الوعي العربي ضمن القائمة العالمية من خلال الحد من الاغتراب و فسح المجال للوعي العربي بأن يشارك في المحافل العالمية الثقافية .

1 – حسن حنفي ، مقدمة في علم الاستغراب ، مصدر سابق ،, ص 52 .

2 – المصدر نفسه ، ص 13 .

خلاصة الفصل:

نستنتج مما ذكرناه في هذا الفصل أن" حسن حنفي" كان وما زال من المفكرين الذين تغنوا بفكرة التراث والتجديد "وذلك من خلال اهتمامه بمختلف العلوم الموجودة في تراثنا القديم ، وهذا ما لاحظناه في مشروعه النهضوي الذي ارتأى فيه العودة إلى التراث القديم واحيائه من جديد من خلال إعادة قراءته قراءة واعية ليكون ذا قيمة عميقة تخدم عامة المجتمعات والأمم، خاصة العربية كما نجده يركز على الحضارة الأوروبية واكتشاف الأساس الذي بنيت عليه باعتبارها اليوم الأمة المتقدمة والقائدة والبحث في مصادر قيامها.

ونهوضها، من أجل إعادة الوعي العربي إلى الساحة العالمية من خلال قطع التبعية الأوربية التي كان الوعي العربي خاضع لها .

❖ **الفصل الثاني: بنية فكر حسن حنفي لعلم الاستغراب**

- **المبحث الاول: آليات التجديد**
- **المبحث الثاني: الرؤية الفكرية للموقف الحضاري في فكر حسن حنفي**
- **المبحث الثالث: موقف حسن حنفي من القراءات التراثية والمنطلقات المنهجية**

إن تدارك الوضع و التطلع لمستقبل زاهر ينتظر هذه الأمة بما يحمله من تطور و رقي و تقدم حتى نتخلص من الوضع المتردي الذي ميز الفكر العربي من مسببات التخلف و التراجع و جمود الوعي استند عليها حسن حنفي في تشييد مشروعه الفكري النهضوي لإنهاء الأزمة الحضارية الصاخبة التي ضربت العالم العربي الإسلامي، محاولا من منبره تجسيد ما عرضه و خطط له نظريا على أرض الواقع، متبعا عدة خطوات مناسبة لتجاوز النكبة الحاصلة و القادرة على فك العقدة التي تسببت في خلق المرض الفكري لدى العرب، و قد حاول تحقيق ذلك بتقديم خطة بديلة كدعم لمشروعه ، التي رأى فيها الحل الأمثل لقطع الصلة بالجمود و الركود و كل مؤشرات الضحالة و التردي، و القادرة على تسوية الحالة التي آلت إليها الأمة ، المتمثلة في كشف أبرز أساليب و وسائل التجديد التي يتكئ عليها مخططه ، لأجل تغيير التراث القديم و إعادة بنائه بما يتوافق مع شروط النهضة و النضج الفكري بطراز جديد ملائم للعصر المعاصر و متطلباته. فماهي آليات التجديد في نظر حسن حنفي؟ وما هو موقفنا الحضاري انطلاقا من التراث ومن القراءات التراثية؟

المبحث الاول: آليات التجديد

1- التجديد اللغوي:

يسلك الدكتور حسن حنفي أول خطاه في طريق التجديد و التغيير بغية للنصر و الاستقلال الفكري لتكون أول وجهة له هي اللغة، حيث اعتبرها الجوهرة التي بفضلها يتحقق المبتغى الأكبر في رسالته. لكن ما كان يقصده ليست اللغة القديمة التقليدية التي تجتاح مختلف العلوم والمعارف بل كان يصبو لتعديلها و تغيير ما وجب تغييره. هذا ما يؤكده بقوله: "« ان اكتشاف لغة جديدة هو اكتشاف للعلم، وطالما تأسس العلم بتأسيس لغته أولا. »[1] .

فقد ألح في مشروعه على ضرورة تبديلها و الانتقال من الألفاظ و المصطلحات التقليدية الجامدة إلى مصطلحات جديدة حديثة تتلاءم مع تطور العصر و تجلياته، فخص بالذكر المصطلحات الدينية مثل : الله ، الرسول ، الملائكة ، الحلال ، الحرام... التي لم تعد كفيلة على التعبير الكافي و الوافي و لم تتسع و تلم ببحور الأفكار التي لا حدود لها، كما أنها عتيقة لا تخدم ظروف الواقع المعاصر، « و تغير اللغة التقليدية لا يحدث حبا في التجديد أو تعالما من محدث بل هو ضرورة لغوية و فكرية معا، و ذلك لأن اللغة التقليدية تصل الى مرحلة من تطور الحضارة لا تستطيع معها أن تؤدي وظيفتها في التعبير عن المراد.. »[2] .

أما اللغة الجديدة التي تحل محلها تميزها البساطة و السلاسة لتستوعبها بذلك كل العقول، و تجد فيها العموم و الشمول و السهولة فتساعد على اكتساب أكبر عدد ممكن من الأفكار و المعاني يصاحب ذلك الفهم العميق و الهضم الدقيق لها و القدرة التامة على احتوائها. و لتكتمل مهمة اللغة الحديثة و تكتسح الساحة الفكرية كان لابد لها أن تحسن التعبير عن المعاني والأفكار و تغطي أكبر قدر منها لتصل الفكرة متطابقة لفظا و معنى.

انتقى حنفي منطق التجديد اللغوي الذي تفرع بدوره إلى ثلاثة مسالك هي :

- **الانتقال من اللفظ التقليدي إلى اللفظ الجديد** : اختار حسن حنفي اللغة العصرية الحديثة باعتبارها لغة عامة ، لا خاصة تحصر بين حدود الدين ، و لا إلاهية ثابتة جامدة مترفعة

[1] – حسن حنفي ، التراث و التجديد، مصدر سابق ص 109 .

[2] – المصدر نفسه، ص 112 .

عن لغة البشر لا تخضع للتحليل و التفسير و التأويل..، بل هي لغة إنسانية خالصة مستقلة عن الدين و غيره لا مطلقية فيها تتغير و تتبدل بتغير الزمان و المكان، تتطور بتطور العصور..

- **الانتقال من المعنى الضمني إلى لفظ جديد** : يجد حنفي من اللفظ القديم و ما يحمله من معان ضمنية يصعب على الإنسان فهمها و إدراكها سبيلا للوقوع في الأخطاء، لذا كانت الألفاظ الجديدة تغطي العيوب التي خلفتها اللغة القديمة و ترقعها، و تعمل على تبسيط العبارات و المعاني و ضبطها في قالب عقلي يسهل استيعابه ، و ضرب عدة أمثلة في ذلك من بينها «الانتقال من لفظا (الكفارة و الحد) إلى السالب و الموجب لليونة و لين الاختيار الثاني و تماشيه مع عقل الإنسان المعاصر " فيصبح التجديد اللغوي أمرا ضروريا طبيعيا لاستبدال اللغة القديمة بالجديدة لأجل التعبير عن تجدد المعاني وفقا لحاجات العصر و متطلبات الواقع »[1]
- **الانتقال من الشيء المشار إليه إلى لفظ جديد** : «هو الانتقال من الشيء المشار إلى لفظ جديد يبدأ من الشيء نفسه ثم يعبر عنه بلفظ تلقائي. »[2] و لا يمكن اعتبار هذا اللفظ لفظا جديدا أو تسميته بهذا الاسم كونه مستمد من اللفظ الأصلي لكن طرأ عليه تغيير بشكل تلقائي لا قصد فيه يكون أقرب لذهن المستمع و أكثر تعبيرا و ايصالا للمعنى، و الأمثلة كثيرة من المصطلحات الجديدة التي تعبر عن مصطلحات قديمة أو مأخوذة منها بشكل أو بآخر من بينها : لفظ الصورة و المضمون...

2- تغيير الواقع الثقافي:

يعد الواقع الثقافي أحد أهم العوامل المساعدة في عملية التجديد ، فقد اعتمد عليه الدكتور حسن حنفي كعمود أساسي في البناء الحضاري لمشروعه. حيث اعتبر ضرورة تغييره واجبة لبلوغ الهدف و نجاح الخطة التنموية . فطبيعة البيئة الثقافية للعصور القديمة تختلف كل الاختلاف عن البيئة الثقافية الحالية فالظروف المزامنة لعصر ما، مغايرة حتما عن ظروف العصر الذي يليه.

[1] – جيلالي بوبكر ، مشروع التراث و التجديد المنهج و الميدان ، صحيفة المثقف ، العدد – 5087 ، الأحد 09 – 08 – 2020 م .

[2] – حسن حنفي ، التراث و التجديد ، مصدر سابق ، ص 127 .

نشأت العديد من العلوم و المعارف بفضل الله ثم الإنسان قديما كانت سببا في حل الكثير من المشاكل ، و التوصل لعدة حلول و نتائج التي شكلت عبئا على الانسان تتماشى مع ظروف الواقع المعاش حينها ،لكن هذه العلوم تعتبر علوما تقليدية قديمة رغم ثرائها العلمي و المعرفي و الأهمية التي تكتسيها في العديد من المجالات، إلا أنها ظهرت على يد العلماء و الباحثين القدامى في زمان بعيد لا يشبه الزمان الآني و ملابساته و احتياجاته ، لذا دعى حسن حنفي إلى إجبارية إجراء بعض التغييرات و التعديلات عليها لتتناسب مع روح العصر في البيئة العربية الإسلامية، « فالعلوم القديمة بهذا المعنى ليست علوما مطلقة تثبتت مرة واحدة وإلى الأبد بل هي علوم نسبية حاولت التعبير عن الوحي في اطار نوعية الثقافة الموجودة في العصر القديم»[1] فالتمسك بكل ما هو قديم و نسخه عبر العصور و نقله من جيل إلى جيل رغم المعرفة اليقينية بوجود عدة أخطاء فيه لا تخدم العصر و لا تتماشى مع مستجداته ، ينتج عنه أزمة فعلية تهدم كل ما سعى العلماء و المفكرون لبنائه قديما و حديثا. فالجانب الثقافي للأمة العربية الإسلامية كذلك يتطلب التغيير و التبديل وفقا لتغير الزمان و احتياجاته. « تنبعث أزمة الثقافة العربية و تظهر من تكرار و اجترار و ترديد التراث القديم في الواقع المعاصر على الرغم من تبديل و تغير المرحلة التاريخية و تحويلها من الماضي إلى الحاضر، هذا التغير يقتضي ثقافة جديدة و ابداعا فكريا و حضاريا جديدا. »[2]

أكد حسن حنفي على هذه المسألة **تغير البيئة الثقافية** لأنها تحظى بدور فعال في نجاح مشروعه و تحقيق طموحاته الفكرية للعالم العربي الإسلامي ، فمن غير المعقول تجسيد ذلك بتكرار كل ما صاحب العصور القديمة من علوم و معارف و أفكار و معتقدات خدمت مرحلة معينة من مراحل التاريخ لكن هذا لا يعني النقل الكلي لكل ما جاء فيها عبر الأجيال من عصر لآخر بل تخضع لعملية الانتقاء و التمحيص فيتم الحفاظ على بعض الخصائص التي تخدم البنية الاجتماعية و تتلاءم مع العصر الحاضر، و يحذف ما هو غير صالح له من أفكار عقيمة و معتقدات خاوية فيتم إسقاط المادة القديمة و استبدالها بالمادة الحديثة و يضاف ما يمكن إضافته من علوم و معارف و أساليب بحث عصرية تناسب عملية التطور الثقافي. فالبيئة الثقافية هي

[1] – حسن حنفي ، التراث و التجديد، مصدر سابق، ص 137 .

[2] – مجموعة من الأكاديميين العرب ، الفلسفة العربية المعاصرة) تحولات الخطاب من الجمود التاريخي الى مآزق الثقافة و الايديولوجيا ص 289 .

«النسيج الكلي المعقد من الأفكار و المعتقدات و العادات و التقاليد والاتجاهات و القيم و أساليب التفكير و أنماط السلوك و كل ما يبنى عليه من تجديدات و ابتكارات و وسائل في حياة الناس ... »[1] فكل مكوناتها و خصائصها تتميز بالنسبية و التباين من إنسان لآخر، من شعب لآخر ، من محيط بيئي لمحيط مخالف ، يكون الاختلاف أيضا مكانيا و زمانيا بين الماضي و الحاضر، هذا ما يمنع الارتباط الكلي و الشامل بين التراث القديم و ما يحتويه من نظريات و تصورات و الواقع الراهن، فيكون الارتباط بذلك جزئيا محصورا في جملة من العناصر الأساسية التي يسمح بانتقالها و تداولها بين المجتمعات البشرية من خلال السيرورة التاريخية، و كل ما زاد عن ذلك يهدم ثقافة المجتمع و يعيق مساره التنموي النهضوي لأن« الترديد هو إساءة فهم للأفكار و النظريات التي نشأت في بيئة معينة لأنه يخرجها من بيئتها ، و يعممها و يعتبرها وحيا جديدا ثم يطبقها على بيئة أخرى قد لا تصور فيها شيئا وقد لا تمس من فكرها الا السطح الخارجي»[2]

تتم عملية تغيير الواقع و البيئة الثقافية من خلال عدة خطوات و مراحل أهمها تنظيف الفكر الحديث من الشوائب العالقة به، نتيجة ارتباطه بما هو قديم خاصة إذا تعلق الأمر بالأساطير و الخرافات التي لا فائدة منها و الإبقاء على العلوم و المعارف المناسبة للمستوى الثقافي العصري و التطور الحضاري و العلمي بعد إخضاعها للتحليل الدقيق لتصبح أكثر وضوحا و شفافية ، ثم الانتقال إلى الخطوة الثانية المتمثلة في إعادة البناء بعد هدم العراقيل التي كانت سببا في إعاقة عملية التطور الفكري و الثقافي و التقدم الفعلي للعالم العربي الإسلامي، يكتمل ذلك بعد المعرفة اليقينية لظروف و ملابسات الواقع الراهن في كل المجالات و تحديد الآليات و المعايير المساعدة في تغييره للأفضل.

أما المرحلة الأخيرة عبارة عن مقارنة بين المرحلتين السابقتين لمعرفة مدى التطابق و الإنسجام بينهما ، فكلما زادت نسبة التوافق بينهما زادت إمكانية التغيير الإيجابي اجتماعيا ثقافيا فكريا.. «أي أن كل فكر هو بالضرورة فكر حضاري يعبر عن روح العصر»[3]

[1] – أسماء بلاغماس ، شفيعة حداد ، تأثير العولمة في بعدها الثقافي الهوياتي على الهوية الثقافية الوطنية ، المجلد 4، العدد 2 ، 15 – 06 – 2019 ، باتنة الجزائر ، ص – 237 .

2– حسن حسن حنفي، قضايا معاصرة في فكرنا المعاصر، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت لبنان،ط2 ،1983،ص79 .

3 – حسن حنفي، قضايا معاصرة في فكرنا المعاصر مصدر سابق ، ص 79 .

3-منطق التحليل الشعوري:

في إطار المسار الإصلاحي الذي سار على نهجه حسن حنفي في إخضاع مختلف العلوم القديمة المتوارثة عبر العصور عن طريق الإنسان ، و التي سادت اليوم بشكل ملحوظ لعملية التعديل و التغيير، من خلال المشروع التجديدي الذي قدمه و الذي تم بناؤه على عدة نقاط رئيسية كالتجديد اللغوي ، و تغيير البيئة الثقافية ، إضافة إلى تحليل ما جاء به التراث القديم من علوم و معارف و عقائد قصد فحصها و تصحيحها لتكون أكثر حداثة و معاصرة باستخدام خاصية الشعور، حيث يعد من أهم المستويات الحديثة للتحليل يسمح بتكوين قالب فكري علمي متطور أكثر دقة و وضوح عما كان عليه ، بعيدا عن ما تم تداوله و تناقله جيلا عن جيل دون تصفيته و غربلته من أي أفكار طائشة غير مبنية على أسس علمية و لا مرجعية معينة تنتمي اليها، لذلك « تغدو قراءة الحاضر ممارسة تأويلية تشترط تأويل التراث باعتباره أشياء و تصورات تعمل من خلال الشعور ، فهي لا تعني الا من خلال الشعور الذي هو الذات»[1]

أقدم حنفي على إعادة تحليل و تفسير العلوم التقليدية لغرض بنائها على أسس صحيحة تتوافق و تتماشى مع مستجدات العصر الراهن ، بتطبيق آلية الشعور كونه أدق المستويات الحديثة و أقربها للواقع.

يتواجد الشعور في كل علم من العلوم ليكون مرافقا للإنسان في عمليات بحثه و دراساته فيقرأ ما بين السطور أو في المعاني الداخلية لها، " و منهج تحليل الخبرات منهج إنساني عام في كل حضارة ، و هو منهج تلقائي طبيعي لا يدرك الإنسان إلا ما يشعر به.[2] ومن أبرز العلوم التي أشار اليها حسن حنفي علم أصول الفقه الذي يكمن الشعور فيه بشكل واضح في الأخبار ، المبادئ اللغوية ، الأحكام ، إذ يظهر الشعور فيها جليا من خلال ما يمر به الراوي و المجتهد و المكلف من مراحل في عملية البحث و الشرح و التفصيل ، فكل ما ينقل من طرفهم لإثبات معلومة معينة يرتبط بالجانب الشعوري فصحة النقل تكون مرهونة بالتزام الباحث بالأمانة

[1] – علي الربيعي ، حسن حنفي و تجديد التراث ، الوسيط) يومية سياسية مستقلة (العدد 314 ، الأربعاء 16 يوليو 2003 م – 16 جمادى الأولى 1424 .

[2] – جيلالي بوبكر، تجديد أصول الفقه في مشروع حسن حنفي الامتداد و المكانة ، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية و الانسانية ، العدد15 كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية ،جامعة حسيبة بن بوعلي ، جانفي – 2016 ،الشلف ، ص 23 .

العلمية و الموضوعية وفقا لمعايير أخلاقية تلزمه الحياد ليكون البحث أكثر دقة و وضوح ، أما في المجاز يكون أكثر وضوحا في بعده الخيالي و في التصورات التي يحملها الانسان في ذاته.

أما علم أصول الدين فيظهر الشعور فيه بشكل أخص من خلال الأصول الخمسة التي تحتوي على جملة من الأفكار و العقائد التي جاءت بها فرقة المعتزلة و المتمثلة فيما يلي : التوحيد ، العدل ، المنزلة بين المنزلتين ، الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر ، الوعد و الوعيد.

يتبين الشعور في كل منها من خلال مختلف الأفعال التي يقوم بها الإنسان بالنظر إلى ذاته، ففي التوحيد تكون المعرفة يقينية للإنسان و إيمانه حق بوحدانية الله و قدرته و يكون إدراكه كلي بما أمر به الله و ما نهى عنه ، ليتضح بذلك دور الإنسان و ما يجب أن يكون عليه، هذا ما يطلق عليه المستوى الشعوري.

أما العدل و معناه الدراية التامة و القناعة الكاملة أن الله عادل حق لا يحب الفساد، خلق كل شيء و أمر بجملة من العبادات و السلوكات، فكل من أقدم عليها و التزم بها يثاب على ما فعل ، و نهى عن بعضها فكل من قام بها عوقب على معصيته ، إذن فالشعور في هذا الأصل يكمن في حرية الإنسان فهو حر في اختيار أفعاله و اتباع الطريق المناسب له، و هو المسؤول عن أفعاله إن كانت خيرا أم شرا . ربط المعتزلة أصل المنزلة بين المنزلتين بنية الإنسان فكل من ارتكب معصية و هو مسلم يكون في منزلة بين منزلتين لا هو بالمسلم و لا هو بالكافر، لتكون خاتمته من توضح المرتبة التي يستحقها فإن تاب و أصلح و ترك الخطأ كان من المغفور لهم و نال منزلة المسلم، و إذا بقي مصرا على إثمه كان كافرا ، فالشعور متعلق بنية الإنسان و أفعاله في هذا الأصل.

يعبر الأصل الرابع المسمى بالأمر بالمعروف و النهي عن المنكر عن القدر الكبير من الإيمان الذي يحتل قلب الإنسان، و يبدو ذلك في التزامه بالنصح و الإرشاد و توجيه الضالين و التائهين عن الطريق الصحيح و هنا يكمن الطابع الشعوري.

أما بالنسبة للوعد و الوعيد فهو تنفيذ وعد الله تعالى لعباده فمن عمل صالحا كانت له الجنة و من كان فاسقا فاسدا كانت له النار ، ليكون الشعور كامنا في عملية الاختيار الإنساني كونه قادرا على التمييز بين الخطأ و الصواب، «بل إن المشاكل الطبيعية ذاتها لا يمكن فهمها

إلا برفعها إلى مستوى الشعور.. »[1] فكل ما هو موجود مرتبط حتما بالجانب الشعوري و التصورات الذهنية للإنسان.

يظهر الشعور في الفلسفة من خلال عمليات البحث و الترجمة و الشرح لما قدمه علماء و فلاسفة اليونان ، فكل باحث يقوم بما توجب عليه من ترجمة للكتب و إيصالها بطريقة صحيحة بسيطة تقرب الفهم للقارئ بلغة الحضارة العربية ، والشرح الدقيق و التحليل العميق للأفكار الغربية دون التحريف و التغيير للكم المعرفي فكل هذه المراحل تعتبر شعورا يصاحب الباحث.

أثبت حنفي أن أقوى درجات الشعور تكون في التصوف حتى أطلق عليه إسم علم الشعور بقوله : «بل ان التصوف ان شئنا هو علم الشعور»[2] و يكون ذلك واضحا بالأفعال التي تتبادر من الإنسان و أحواله النفسية كالحزن و الفرح ، البكاء ، الخوف ، الطمأنينة.. كلها أحوال نفسية شعورية.

إذن فالشعور منهج يمس كل أفعال و أقوال و جوارح الإنسان و كل ما يبدر منه ، كما أنه ملازم لكل فكر و علم إن كان ماضيا أو حاضرا فلا وجود لشيء بدون شعور، كل ما هو كائن له صلة بالشعور و إن كان بشكل ضمني غير مباشر و لا صريح «ان منهج علم الأصول منهج شعوري ، كما أن المنهج الصوفي منهج شعوري ، و علم الكلام علم شعوري، و علوم الحكمة علوم شعورية. » [3]

هذا ما يثبت القيمة الكبيرة و الدور الأكبر الذي يلعبه الشعور في عملية تفكيك الموروث القديم و اعادة بنائه على أسس متينة أكثر صحة من السابق.

---

[1] – حسن حنفي ، التراث و التجديد ، مصدر سابق ص 134 .

[2] – المصدر نفسه ، ص 135 .

[3] – علي الربيعي ، حسن حنفي و تجديد التراث، الوسيط (يومية سياسية مستقلة) العدد 314 ، الأربعاء 16 يوليو 2003م – 16 جمادى الأولى 1424 .

المبحث الثاني: الرؤية الفكرية للموقف الحضاري في فكر حسن حنفي

انطلقت عملية التفكير في مشروع الاستغراب وبنائه وتدوينه في ظل ظروف صعبة، تميزت بغياب القيم و غياب محددات و موجهات الفكر، و العمل و ضياع الذات العربية الإسلامية و لكن على الرغم من ذلك انطلق المشروع ليربط بين الماضي والحاضر، و بالفعل تمكن حسن حنفي من بناء الهيكل العام للمشروع منذ الخمسينات، إلا أن البداية الفعلية لتجسد مشروعه على أرض الواقع كانت بعد نكسة حزيران 1967م مباشرة ، و ذلك راجع إلى «الهزيمة التي تعرض لها العرب سنة 1967م التي تعتبر بمثابة منعطف حاسم في الفكر العربي المعاصر بصفة عامة وفي مصر بصفة خاصة ، فبعد تقهقر الأنا في مجابهة الأخر و عجز البرجوازية الوطنية عن إنجاز مهام الثورة الوطنية الديمقراطية في نهايتها، بل و عجزها عن حماية الاستقلال الوطني ، ففي ظل هذه الظروف فتح المجال أمام العديد من الاتجاهات للإدلاء بمشاريعهم تحت عنوان البحث عن جذور الهزيمة و شروط النهضة» [1]

ومن هذه اللحظة بعد هزيمة العرب انطلق حسن حنفي كغيره للتعبير عن مشروع ثوري يقوم على تحليل إحصائي للواقع يعبر عن مصلحة الجماهير و يتقبله الناس كما يقول:«مخاطبة الجماهير تحليل إحصائي للواقع يعبر عن مصلحة الجماهير العربية بأسلوب مباشر ، و تجاوز المناهج الأكاديمية الإحصائية النظرية أو التطبيقية من أجل اتصال مباشر بالفكر و رؤية مباشرة للواقع» [2]

موقفنا الحضاري

يعرف حسن حنفي الموقف الحضاري بأنه وعي العرب بوجودهم و موقعهم في التاريخ أولا و مع غيرهم ثانيا، ومع أنفسهم و ما يطمحون إليه ثالثا؛ إذ يقول: «و يعني الموقف الحضاري وضع العرب في التاريخ بين ماضيهم ومستقبلهم بين غيرهم و بين مثلهم و واقعهم أي بين ما ينبغي أن يكون و ما هو كائن» [3]

---

[1] – إدريس هاني ، ما وراء المفاهيم من شواغل الفكر العربي المعاصر،ط1، بيروت : مؤسسة الانتشار العربي،2009م ص 55-59.

[2] – حسن حنفي، قضايا معاصرة في فكرنا المعاصر، مصدر سابق ص7-8.

[3] – حسن حنفي، الدين والثقافة والسياسة بالوطن العربي، (القاهرة: المكتب المصري ،2009م)، ص 23 .

ففي نظر حنفي موقفنا الحضاري يكمن في الماضي و الحاضر و المستقبل، في اللحظة الإسلامية الأولى مثلما اليوم و غدا، و منه فالموقف الحضاري عند حنفي يتكون من ثلاثة أبعاد تعبر عن ضرورته، لهذا يشبهه بمثلث ذي ثلاثة أضلاع:

فالضلع الأول يمثل التراث القديم و يقول فيه: «و ذلك لأننا مجتمع تراثي مازال وعيه القومي مفتوحاً على القدماء...وما زال تصوراتنا للعالم وموجهاتنا للسلوك مستمدة من التراث»[1]

الضلع الثاني يمثل التراث الأخر الغربي : «الذي بدأ يكون أحد الروافد الأساسية لوعينا القومي ، وأحد المصادر المعرفية المباشرة لثقافتنا العلمية و الوطنية.. »[2] ، مما جعلها تصبح جزءاً من حياتنا المعاصرة.

الضلع الثالث هو الواقع الذي نعيش فيه «والذي نحتويه في شعورنا عن وعي أولا، وعي و قد يكون هو الباعث على المعرفة.. ،بمعنى أنه يتفاعل فيه الموروث القديم مع الوافد الجديد.

إلا أن الموقف الحضاري مثلث الأبعاد حسب حنفي في الأغلب غير متوازن؛ لأنه قد يقوم على أساس أي موقف من الأبعاد الثلاثة و ذلك لان حضورها غير متكافئ ، فقد يرتكز على المضلع الأول و من هنا تنشأ في نظره ثقافتنا الدينية و نظمنا المحافظة اقتناعاً و إيماناً و تعمية عما يدور في الواقع بفعل أننا: «مازلنا نعيش نشوة الانتصار و نحن في وضع الهزيمة ، مازلنا متمسكين بتصور خير أمة أخرجت للناس، ونحن نعيش الاحتلال والقهر ..فالعالم قد تغير ...وفي واقعنا اليوم عكس ذلك»[3]، و قد يرتكز على المضلع الثاني ومنه تنشأ –في نظره– ثقافتنا العلمية العلمانية وحركتنا الإصلاحية و تعليمنا العصري وذلك لأن الغرب يبدع و العرب ينقلون، الغرب ينتج و العرب يستهلكون...و يصير الغرب المعلم الأبدي والعرب التلميذ دائماً ، الناقل و المقتدي بمعلمه ،« و أخيرا قد يرتكز الموقف الحضاري على البعد الثالث و منه تنشأ في نظرنا– ثقافتنا الشعبية و حركات التغير الاجتماعي، ومنه خرجت ثورتنا الأخيرة» [4]

---

[1] – حسن حنفي، دراسات فلسفية، مصدر سابق، ص11 .

[2] – المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3] – حسن حنفي، الدين والثقافة والسياسة في الوطن العربي، مصدر سابق، ص 23.

[4] – حسن حنفي ، دراسات فلسفية مصدر سابق ، ص 12 .

(1)

و منه فالأزمة تتجلى إذن – حسب رأي حسن حنفي– من خلال اقتحام الثقافة الغربية للبيئة الثقافية العربية، الذي آل في الأخير إلى انتقاد الموروث القديم "الدين" الذي ما زال حياً في نفوس الجماهير، ليظلّ الإصلاح الديني هو الوعاء الطبيعي الذي يمثل الحاضر الذي تتصارع فيه قوى القديم والجديد [2]، و لما كان الواقع هو الغاية والهدف –حسب رأيه– فإنه لابد من التفسير المباشر له وإدراك أجزائه والتعرف على علل ظواهره، وذلك لأن:" كل تعامل مع الواقع المباشر هو فلسفة، و كل رصد لحركته ومعرفة لإمكانياته هو جزء من عملية التفلسف ، فالواقع هو التاريخ و الفلسفة هو جزء من التاريخ}[3] ، لينتهي في الأخير إلى أن الفيلسوف هو صاحب هذا الموقف الحضاري الذي يعبر عن الوعي بالتاريخ [4]

و لهذا يرى حسن حنفي أن الوعي التاريخي هو أساس الوعي الحضاري لأنه شرط ضروري لاكتشاف الذات، فيعرفه –أي الوعي التاريخي– بقوله: «هو مسار الأنا في التاريخ و هو إحساس بالذات المتمايزة عن الآخر إحساس بالهوية قبل الإحساس بالتغاير هو تمايز طبيعي مبدئي يثبت وجود الأنا قبل الأخر»[5]

[1] – مقدمة في علم الاستغراب، مصدر سابق ص12 .

[2] – حسن حنفي ، الدين والثقافة والسياسة في الوطن العربي ، مصدر سابق، ص 27 .

[3] – حسن حنفي ، دراسات فلسفية، مصدر سابق، ص 316 .

[4] – المصدر نفسه الصفحة نفسها .

[5] – حسن حنفي، الدين والثقافة والسياسة في الوطن العربي، مصدر سابق، ص 33 .

ولما كانت قضية مشروعه هو كيف يستطيع أن يتعامل مع الواقع وأن يساعد في استكمال تحرير الأرض و المواطن و تحقيق العدالة الاجتماعية، فإن ذلك «لا يمكن أن يتحقق إلا بإعادة بناء شعورنا التاريخي» [1] ،فـ « تقدم الشعوب مرهون باكتشاف شعورها التاريخي فهو الذي يضعها في الزمان...فالشعور التاريخي هو شرط الوعي بالتاريخ...و أسباب تعثر نهضتنا الحالية التي بدأناها منذ القرن الماضي، هو أننا لم نكتشف بعد الشعور التاريخي»[2]

و بالتالي فإن حل كبوة الإصلاح لا يتم إلا من خلال إعادة بناء شعورنا التاريخي ذلك بالاستعانة بالمنهج الفينومينولوجي في دراسة الدين؛ حيث يقول: «وقد لا يكون العيب الإصلاح الذي حدد مشروعه في ظروف عصره بل فينا نحن الذين لم نطوره...و بالرغم من اعتماد البحث عن التأملات الملاحظات التاريخية الحية أكثر من اعتماده على إحصاءات المؤرخين...إلا أنه يعتمد على منهج دقيق في العلوم الإنسانية، و هو منهج تحليل الخبرات الفردية و الاجتماعية ، من أجل إعادة بناء الموقف التاريخي بعد تكشف أبعاده في الموقف الحالي ، ومن ثم تتم رؤية الماضي في الحاضر و الحاضر من خلال الماضي ، و هو المنهج الذي طالما استعملناه لدراسة التجارب الحياة المعاصرة لكشف دلالاتها المستقلة» [3] ،و« هذا البناء من خلال ذلك المنهج الفينومينولوجي لا يأتي له إلا بنقد الدين لأنه يقوم بدراسة الظاهرة المفصولة عن كل ما يحيط به»[4] ؛ حيث يقول: « إن الموقف الحضاري الآن بناء على الوعي التاريخي يقتضي أخذ موقف نقدي من القديم وليس الدفاع عنه، كما يقتضي أخذ موقف نقدي من الغرب و ليس الدفاع عن الغرب ، و يقتضي ثالثا أخذ موقف نقدي من الواقع و ليس الدفاع على الواقع »[5] « ففلسفة التاريخ لابد أن تواكب كل حضارة طامحة للنهوض»[6] .

و من خلال هذا يتضح أن موقفنا الحضاري ذو أبعاد ثلاثية لا تتغير، ولا يمكن أن تتغير من حيث وجودها أو دورها، و في نفس الوقت ترتبط بينها بالضرورة، إذ تحكمها علاقتان:

---

[1] – فهد بن محمد السرحاني القرشي ، منهجية حسن حنفي، مصدر سابق، ص 392 .

[2] – حسن حنفي ، دراسات إسلامية ، مصدر سابق، ص 416.

[3] – مصدر نفسه، ص 180–181 .

4 – فهد بن محمد السرحاني القرشي، منهجية حسن حنفي، مصدر سابق، ص 392 .

5 – حسن حنفي ، دراسات فلسفية، مصدر سابق ص317 .

[6] – فهد بن محمد السرحاني القرشي، منهجية حسن حنفي، مرجع سابق ،ص 77 .

أولا: علاقة اشتراط ضروري : يكون بين " موضوع الوعي الإسلامي" الوحي" والواقع المعاش"،

ثانيا: علاقة تضاد ضروري : « يكون بين "الأنا" و "الآخر"» [1] .

و لما كانت هذه الأبعاد الثلاثة حسب حنفي تحكمها علاقتان – علاقة اشتراط وعلاقة تضاد فانهما في نظره– بالضرورة يرتبطان مع الموقف الحضاري في قانون ثابت، إذ يرى أنه «كلما كان وعينا بهاتين العلاقتين جدياً كلما ساهم ذلك في ازدهار موقفنا الحضاري، و كلما كان جهلنا بهما كلما أنحط موقفنا الحضاري»[2] .

و منه فإن الوعي الإسلامي و الواقع المعاش هي علاقة ارتباط ضروري، و هذا ما برز عند مسلمي التراث الذين كانوا على وعي بهذه العلاقة منذ القدم، إذ يرى أن تشكل الوعي الحضاري نتج كتعبير عن الوحي وعن الواقع التراثي في آن واحد، فالمرحلة التي نزل فيها الوحي على نبينا محمد – صلى الله عليه وسلم هي مرحلة ذهنية تتشكل في الوعي الإسلامي، حول الفكر المطلق (الوحي) و الوعي الإسلامي (الشعور الإسلامي)، مما أدى بذلك إلى اكتساب الأنا الإسلامية ماهيتها ، «فالوحي كان ينزل لأسباب ترتبط بالاستجابة لمتطلبات الواقع المعيش، و عنها نشأ التراث»[3] ، فهنا حاول حنفي أن يبين لنا أن مسلمي التراث كانوا على وعي بعلاقة الارتباط الضروري بين الواقع والوحي، بمعنى أوضح أن هذه القضية وجدت منذ القدم. بالإضافة إلى أنه أكد أيضا على أنهم – مسلمي التراث– كانوا على وعي بعلاقة التضاد الضروري بين مضمون الأنا الإسلامية ومضمون الآخر؛ وذلك من خلال عملهم على تطوير العلوم الرياضية والطبيعية تعبيراً عن الوحي و خدمة لمتطلبات واقعهم المعيش.

أما فيما يخص العلوم النظرية فقد عبروا عن مضمون الوحي بلغة وأدوات و ثقافة الآخر، بمعنى أنهم أسقطوا من العلوم النظرية المترجمة و استعاروا شكلها للتعبير عن مضمون الوحي، و هذا ما يسمى« بظاهرة التشكل الكاذب» [4] فيرى حنفي أن المسلمين القدماء كانوا على وعي

---

[1] – ناهض حتر، التراث والغرب والثورة مرجع سابق، ص88 .

[2] – ، مرجع نفسه، ص88 .

[3] – المرجع نفسه ، ص 94 .

[4] – ظاهرة التشكل الكاذب: وهي ظاهرة لغوية محضى بمعنى ترك الحضارة الناشئة بعض المصطلحات، ولغتها الأصلية التي أصبحت قديمة لا تستطيع التعبير عنه الأمم الجيدة التي وجدت نفسها فيها الأمم، وتبنت لغة الحضارة الغازية.(حسن حنفي ، قضايا معاصرة في فكرنا المعاصر، ج1، ص 61.

أكثر بموقفنا الحضاري، على عكس مسلمي اليوم الذين يكون موضوع شعورهم " أناهم" أو تضادهم مع ثقافة الآخر. بمعنى أن مسلمي اليوم ينقسمون إلى قسمين:

- **قسم من "دعاة التراث"** و هم الذين ينغلقون على ذواتهم ، دون انفتاح منهم على غيرهم ، بحيث أنهم لا يدركون متطلبات واقعهم الجديد، ثم يعجزون عن التعبير عن مضمون الوحي بلغة العصر.
- **القسم الثاني "دعاة التجديد"** و هم الضائعون في الآخر مغتربون عن أنفسهم بسبب جهلهم لأنفسهم و واقعهم، و لكن بما أنهم عملاء لثقافة الغرب الغازية ؛ فإنهم يظنون أنفسهم مدركين متطلبات واقعهم المعاصر، و هنا يكونون معا لآخر و يضيعون فيه ولهذا فهم مهددون بذواتهم وهويتهم، و في ظل هذين الموقفين نشأت أزمة موقفنا الحضاري، و هذا بالطبع الآخر، نتج عن عدم وعي مسلمي اليوم بعلاقتي الارتباط الضروري بين الوحي و الواقع والتضاد الضروري بين الأنا والآخر .

إذن من أجل تجاوز هذه الأزمة و حلها لابد من الوعي بموقفنا الحضاري مثل ما فعله مسلمي التراث القديم فهو الكفيل –« الوعي بموقفنا الحضاري– الذي يحقق وحدة الشخصية عبر التاريخ وازدهار موقفنا الحضاري»[1] ؛ إذ يقول: « و في موقفنا الحضاري اليوم نحاول أن نبحث عن إيديولوجية و نحاول توضيح معالمها ونعتمد على محاولات التجارب والخطأ ولا نسمح كثيرا بما يفرضه الواقع الجديد» [2]

[1] – ناهض حتر، التراث والغرب والثقافة، مرجع سابق، ص 94 .

[2] – حسن حنفي، قضايا معاصرة في فكرنا المعاصر، مصدر سابق، ص55–56 .

المبحث الثالث: موقف حسن حنفي من القراءات التراثية والمنطلقات المنهجية

1-القراءات السابقة لتراث

لا شك أن قضية التراث والتجديد من بين أهم القضايا التي أثارت منذ بداية عصر النهضة في الفكر العربي والإسلامي المعاصر جدلاً واسعاً ، تعددت تبعاً لذلك الآراء و والمواقف و الاتجاهات، بين دعاة القديم و دعاة الجديد ودعاة الجمع بين القديم و الجديد، و لكن في خضم هذا النقاش الفكري و الخطاب الثقافي حول هذه المشكلة، اتضح –في نظره–أن الاتجاهات الثلاثة لم تستطع أياً منها أن يقدم مشروعاً حضارياً قومياً، يتجاوز من خلاله أزمة " التراث والتجديد"، فما موقف حسن هي جوانب النقص و القصور في كل منها؟.

إن التراث عند حنفي هو مسؤولية شخصية وقومية في سياقها التاريخي، تتفاعل مع الزمان و التاريخ و الحضارة باستمرار من دون توقف، و التجديد –عنده – هو دراسة الأمة في أبعادها الفردية والنفسية والاجتماعية والتاريخية والحضارية ، حصراً لأسباب التقهقر وتحديداً لعوامل الانطلاق في التحضر، فإن حنفي ينطلق – من خلال مشروعه "التراث و التجديد" – من التراث لتوظيف ما فيه من طاقات مختزنة في الحاضر، تهيأ و ساهم بإيجابية و فعالية في بناء الحاضر والمساهمة في الوصول إلى المستقبل والاستعانة بالتجديد لإعادة فهم التراث حتى يمكن رؤية الواقع و مكوناته[1]

و نظراً لتضخم "الأنا " في نفسه أصبح يرى أن مشروعه هو وحده الذي يستطيع مواجهة الأزمة و أن جل الكتابات التي تناولت مسألة التراث العربي بالدرس والتحليل ، كتابات قاصرة و سطحية و لا تنظر إلى القضية بشمولية، حيث يقول : « و لكن التحليلات كلها إما جزئية ولا تشمل الكل فإما تكتفي بمجرد التعبير عن الأماني والنيات الحسنة في تجديد التراث ، وإما تعبيرات خطابية و أساليب هذه المواقف بيانية تلهب حماس الناس و تعلن عن الكاتب أكثر مما تكشف شيئا ، و إما أسيرة قوالب التراث الغربي تجدد من خلاله، فهو تجديد من خارج التراث و ليس من داخله» [2]

أما عن الحلول التي تتنازع قضية "التراث والتجديد " هي ثلاثة حلول:

[1] – بوبكر جيلالي ، التراث و التجديد بين قيم الماضي و رهانات الحاضر، مرجع سابق ،ص132–133.

[2] – حسن حنفي، التراث والتجديد، مصدر نفسه ، ص26 .

أ. اتجاه يكتفي بالحل الذاتي بالتراث القديم: وهو ما أجمع عليه أهل السنة و الجماعة، فالتراث القديم في نظرهم قد حوى كل شيء و هو ما مضى و هو ما هو آت، بل و يضفون عليه صفة القداسة و يجعلون منه مصدر فخر واعتزاز في الحاضر، إذ تنطبق على هذا الحل كما يقول مقولة : « لا يصلح هذه الأمة إلا ما صلح به أولها »[1] ، لما كان كذلك ففي نظره- أي حنفي أن أصحاب هذا الحل يتصفون بالنفاق والعجز والنرجسية والاستلاب ، لأنهم يسعون للتغيير عن طريق التمسك بالتراث القديم ، و جعل الواقع خاضعا بالضرورة لقيم الماضي، و هذا ما جعل حنفي يحكم عليه بالفشل للأسباب التالية :

- «سيادة النظرية الإلهية على الفكر النظري بحيث أصبحت غير قادرة على ممارسة قضايا التغيير الاجتماعي، التي تحتاج إلى علم دون دين وإلى واقعة دون قضايا إيمانية مسبقة.
- عدم قدرة أصحاب هذا الحل على تحويل الإلهيات إلى فكر نظري .
- سيادة التصور الرأسمالي للدين بحيث يضع الناس والطبقات الاجتماعية و يرتبها من الأعلى إلى الأسفل، مما أدى بذالك إلى إيمانهم بالثنائية التقليدية بين الروح والبدن ، الدنيا والآخرة، و هذه الثنائية في نظره هي أساس كل مظاهر الازدواجية في سلوكنا القومي .
- معاداة كل محاولات التجديد على المستوى النظري، واتهام كل محاولة لتغيير بالمادية والكفر.
- الفصل بين الإيديولوجية و الأخلاق وهو ما يجعل الجماهير التي مازالت تربط بين الحق و الخير نافرة من الانتساب إلى الجماعة الثورية و التوجه إليها بقلبها»[2]، و« بالتالي فإن حل مشكلة التراث والتجديد بالهروب إلى الماضي التليد هو هروب يزيد المشكلة تفاقماً أكثر، و يؤدي إلى طريق مسدود لا خلاص منه إلا بالرجوع إلى الطبيعة»[3] .

ب. اتجاه يكتفي بالحل الذاتي بالجديد: يعمل هذا الاتجاه على حل هذه المشكلة " التراث والتجديد" على حساب القديم باعتبار أنه ليس له قيمة في ذاته فهو خالي و لا يحتوي على أي عنصر

[1] – حسن حنفي، التراث والتجديد، مصدر سابق، ص 27 .

[2] – مصدر نفسه، ص 37-42.

[3] – حسن حنفي، قضايا معاصرة في فكرنا المعاصر ، مصدر سابق، ص 184-185 .

للتقدم ، «ومجرد تخل عن الارتباط به مدعاة إلى التخلف أو أحد مظاهره ، وضرب من الاغتراب وغياب الشجاعة و اتخاذ الموقف الجذري الذي يؤدي إلى شق طريق نحو النهضة»[1].

ففي نظره– حسن حنفي – أن أصحاب هذا الموقف استطاعوا أن يكشفوا عن وجود فئة استطاعت أن تحقق ما لم يصل إليه الكثير من رغبة في التغير ، إذ يقول أن هؤلاء «على حق من حيث المبدأ و على خطأ من حيث الواقع. » [2]

و ذلك لأنهم تسرعوا في إعادة البناء والقديم مازال قائماً بعد ، فلا يمكن للإنسان أن يبني فوق بنيان متهدم لم يكتمل هدمه، ثم إن إغفال هذا الاتجاه –في نظره على أنّ «حياة الشعوب لا تتغير في لحظة جعلهم يقعون في مشكلة أخرى، وهذا يدل على أن أصحاب هذا الموقف يعانون من قصور النظرة العلمية و الازدواجية»[3] ، فالخلل العلمي الذي وقع فيه أصحاب هذا الاتجاه في نظره– هو إسقاطهم التراث تماماً؛ باعتبار أنه ليس لديه قيمة فحنفي هنا يشير إلى أنه حتى و لم يكن التراث كفاية فهو على الأقل بمثابة وسيلة لتغيير الواقع وهذا لأن هـ جزء من المخزون النفسي للمعاصرين ، و أحد مكونات الواقع التي لا يمكن تجاهلها، كما «أن التغيير لا يتم بطريقة آلية يتم فيها استبدال الجماهير بجماهير جديدة ، بل يجب تطوير هو موجود بالفعل من دون الانسياق وراء أوهام وأحلام» [4]

فيريد حنفي – من مجموع كلامه هنا – أن تكون بداية التغير من التراث أي الدين، بحكم أن الشعوب التي يريد تغييرها تؤمن بالدين؛ حيث يقول: «أنا أبدأ من الدين و هو ما يؤمن به الناس ، و مهمتي – حتى لو آمنوا بالشيطان أو بأي شيء آخر – هي أن أستفيد من إيمانهم كطاقة وأستغله لتغيير الواقع مؤقتاً حتى أقضي على الأمية، وحتى أعيد تنظيم المجتمع ... »[5]

[1] – فهد بن محمد السرحاني القرشي، منهجية حسن حنفي، مرجع سابق، ص 510.

[2] – حسن حنفي، التراث والتجديد، مصدر سابق، ص29 .

[3] – المصدر نفسه ، ص29 .

[4] – المصدر نفسه، ص29 –30.

[5] – محمد فهد السرحاني القرشي ، منهجية حسن حنفي، مرجع سابق، ص 511 .

أما التقليد فإنّ أصحاب هذا الاتجاه لا يفعلون شيئاً سوى استعارة تجارب المجتمعات الأخرى ومحاولة تقليدهم في أنماط تفكيرهم و سلوكهم، مما يجعل هذا التيار« يفقد خصوصيته في مجتمعه و واقعه، و يقع في التمرد و التبعية للأخر و قد يصل إلى حد الخيانة للوطن»[1]

ومن المفارقات في هذا الاتجاه أن أنصاره يعيشون في ازدواجية فكرية و دينية من جهة دعوتهم إلى التخلي عن القديم "الإسلامي"، ومن جهة أخرى تربطهم صلات وثيقة مع الغرب وتراثه الديني المسيحي تدعو المسلمين إلى الإلحاد من جهة ومن جهة تؤمن بالله و تتعبده داخل الكنسية، هذا بالإضافة إلى أن «التراث القديم سامي لا فرق بين لحظاته الثلاث: اليهودية و المسيحية و الإسلامية، بل أنه التراث السامي القديم ، القومي و الآشوري والبابلي و الكلداني»[2]

ج. اتجاه يتمثل في التوفيق بين القديم والجديد: بحيث يعمل أصحاب هذا الاتجاه على الأخذ من القديم بما يتفق مع العصر ، و إرجاع الجديد لمقياس القديم و استيعاب مزايا كلا الموقفين السابقين معا لتخلي عن عيوبهما، فعلى الرغم من محاولاتهما الجادة للتراث و التجديد التي أخذت طريقين، إلا أنهم وقعوا في .نظره- في التلفيق، الطريق الأول والذي يتمثل في التجديد من الخارج أي انتقاء مذهب أوروبي حديث ثم قياس التراث عليه، أما الطريق الثاني فيتمثل في التجديد من الخارج، و ذلك من خلال ابراز أهم الجوانب الإيجابية والتقدمية في تراثنا القديم ورؤية مشكلات العصر من خلالها، فتراثنا القديم يحتوي على اتجاهات عقلية مثل المعتزلة ، أو مبدأ الشورى في الحكم, أو نظرياته الاقتصادية في الملكية العامة ...إلخ، ولكن جميع هؤلاء فضلا عن أنها جزئية، يغلب عليها طابع الانتقائية، حيث يقول حسن حنفي في هذا: " لا يعني "التراث والتجديد " أي نزعة توفيقية بين القديم والجديد ، لأن« التوفيق بهذا المعنى عمل غير علمي يخضع لمزاج شخصي للباحث أو لاختبار مسبق للفيلسوف أو يقوم على هوى يقضي على موضوعية القديم والجديد على السواء»[3]

و لما كانت هذه الحلول الثلاثة عاجزة عن تجاوز أزمة "التراث والتجديد" بسبب الأخطاء التي وقع فيها الفكر العربي و الإسلامي المعاصر، برز حسن حنفي ليؤكد على أن مشروعه هو

[1] – حسن حنفي ، التراث والتجديد ، مصدر سابق ص 29-30 .

[2] – بوبكر جيلالي ، التراث والتجديد بين قيم الماضي ورهانات الحاضر، مرجع سابق، ص136 .

[3] – حسن حنفي، التراث والتجديد، مصدر سابق ص 58 .

وحده الكفيل بحل هذه المشكلة، لهذا يقول:" أما التراث والتجديد فهو القادر على التنظير المباشر للواقع لأنه يمد الواقع بنظريته التي تفسره، و قادرة على تغييره ، فالتراث هو نظرية الواقع والتجديد هو إعادة فهم التراث حتى يمكن رؤية الواقع ومكوناته." [1]

2-المنطلقات المنهجية

يتشكل موقف حسن حنفي من المناهج التي استخدمت في دراسة التراث و فساده، من خلال الأوضاع الراهنة للدراسات الإسلامية التي تكشف عن أزمة في المناهج المتبعة في الدراسة ، و التي تتلخص في عدم مطابقة المنهج المنتهج مع موضوع الدراسة نفسه ، حيث يرجع أزمة المناهج الحالية إلى خطأين:

- **"النعرة العلمية"**: يطبع دراسات وبحوث المستشرقين
- **"النزعة الخطابية"**: يسيطر على أغلب الدراسات الإسلامية لدى الباحثين والمفكرين من أهل الإسلام ، و كلا الخطأين يعود للطابع الحضاري لكل جهة من الجهتين[2]

أ. النعرة العلمية: يرى حسن حنفي أن مجمل دراسات المستشرقين يستعملون منهجا-النعرة العلمية- طريقة غير مناسبة لطبيعة الموضوع المدروس، و ذلك بكونها تتجه إلى دراسة التراث دراسة فكرية مادية خالصة اعتماداً على حوادث التاريخية أو وقائع اجتماعية أو أثر خارجي أو إبداع شخصي، و تغفل عن اعتبار التراث العربي الإسلامي ظاهرة نشأت من مصدر قبلي هو الوحي مما يؤدي بذلك -حسب ، رأي حسن حنفي- إلى فقدان الظاهرة طابعها المثالي؛ حيث يقول: «الظاهرة الفكرية إذن مثالية, مصدرها الوحي أساسها العقل ..فالنعرة العلمية التي تقوم عليها مناهج المستشرقين تعني دراسة الظاهرة الفكرية المادية خالصة و كتاريخ خالص..» [3]

و بالنظر إلى ذلك الخطأ المنهجي فإن حنفي قد أرجع ذلك – الخطأ – إلى إنكارهم للوحي الإسلامي ، وإلى تفكيرهم القائم على ترك النظرة المثالية والأخذ بالنزعة المادية، بالإضافة إلى التعود على السهولة و اليسر في جمع التراث من خلال مادة تنحصر في الاسماء و التواريخ، بل أن« السبب الرئيسي هو البيئة الأوربية التي تربى فيها المستشرق والتي أخذ منها منهاجه وهو

[1] – حسن حنفي، التراث والتجديد، مصدر سابق ، ص34.

[2] – المصدر نفسه ، ص141.

[3] – المصدر نفسه، ص 71.

متحيز لها و بذلك لا يمكن الاعتماد على دراساته كمصادر علمية وكبراهين وهذا لأنه ليس جزءاً من الحضارة الإسلامية من جهة ومن جهة أخرى أن دراسات المستشرقين ليست دراسات موضوعات بل موضوعات الدراسة»[1]

كما تتجلى هذه النعرة العلمية– في نظره– في أربعة مناهج : المنهج التاريخي، و المنهج التحليلي ، و المنهج الإسقاطي، و منهج الأثر والتأثر. فالمنهج الأول– يعتبره حنفي– أنه المنهج الأقرب لتعبير عن النعرة العلمية لكونه يقوم في أساس على الوقائع التاريخية أو الاجتماعية ووضعها أمام بعضها البعض وترتيبها ثم الإخبار عنها والتعريف بها ، باعتبارها الظاهرة الفكرية ذاتها تاركاً كلية أصول الظاهرة في الوحي أو الشعور، وخالياً من كل تفسير أو فهم أو تأويل أو بحث عن دلالة أو تعرف على قانون[2] .

فإذ كان هذا المنهج لا يؤدي إلا وضيفة الإخبار فهذا راجع بالضرورة إلى طبيعة عمل المستشرق الذي نشأ من أجل غاية محددة المعالم، ألا وهي الرغبة في الحصول على أكبر قدر ممكن من المعلومات، عن البلاد الأخرى التي وقعت تحت الاحتلال الأوروبي ، حتى «تستغل هذه المعلومات في فهم روح الشعوب القاطنة هناك حتى تسهل السيطرة عليها و مخاطبتها بلغتها» [3] .

و بالتالي فإن مهمة الباحث في نظره تكمن في نقل الموضوع من أسسه المادية تاريخ أو حداثة أو فرقة إلى أسسه الفكرية الشعورية من أجل تحديد تصورات العالم ،« و مهمة التجديد أنه باستطاعته اقتراح الفروض وإلقاء وجهات النظر التي يمكن العثور عليها إما من الوحي وهو المصدر أو من العقل و هو الأساس أو الواقع وهو المقياس؛ إذ يحاول الباحث المجدد أن يعيد بناء الموقف القديم بثقافة العصر»[4] ، وفي هذا الصدد يقول حنفي: «فلا تهمنا الوقائع التاريخية بقدر ما يهمنا الفكر والتحليل النفسي للأفكار أثرها و فاعليتها في الجماهير عن طريق إعادة بناء

1 – جيلالي بوبكر، التراث والتجديد بين قيم الماضي و رهانات الحاضر، مرجع سابق ص 142–143.

2 – حسن حنفي، التراث والتجديد ،مصدر سابق ص75 .

3 – المصدر نفسه ، ص 81.

4 – جيلالي بوبكر، التراث والتجديد بين قيم الماضي ورهانات الحاضر ، مرجع سابق ص 144.

الموضوع نفسه في الشعور تجربته على الباحث نفسه، وعلى هذا النحو يتم الخلاص من عيوب المنهج التاريخي»[1] .

أما بالنسبة للمنهج التحليلي فإنه يقوم بتفكيك الظاهرة إلى أجزائها المكونة لها، لأن «الظاهرة الفكرية ظاهرة مركبة تركيباً صناعياً، و لتوضيحها وفهمها ضرورة تحليلها إلى عناصرها الأولية»[2] يرى حسن حنفي أنه في عملية تطبيق هذا المنهج على الظاهرة الفكرية ما فإنه لا يساعد على فهمها، و هذا راجع إلى طبيعة الظاهرة المدروسة و التي تكونت أساساً من تحويل النص الموحي به إلى معنى و المعنى إلى بناء نظري، ولما كانت كذلك فإن العوامل التي تحدد تكوين الظاهرة تؤكد أن المنهج المتبع مخالف لها تماماً؛ إذ يقول حنفي في هذا الشأن : « و هذا المنهج مخالف تماما لطبيعة الظاهرة الفكرية المدروسة.... الناشئة من تحول الوحي إلى حضارة ، ليست ظاهرة مركبة تركيباً صناعياً من عناصر ووقائع مادية أنشأتها عوامل تاريخية ، بل ظاهرة معنوية نشأت من تحول النص الديني في شعور المفكر إلى معنى فهي امتداد للنص الديني على مستوى الفكر»[3]

فإذ كان المنهج مخالفاً لطبيعة الظاهرة المدروسة فهذا لا يعني بالضرورة –في نظره– أنه منهج عقيم و مجد، و إنما السبب راجع إلى عقلية و مزاج و ثقافة بيئة الباحث الأوروبي الذي يسعى من خلال التفسير، تفتيت و تفكيك الظواهر إلى القضاء على الطابع الكلي و الشامل لها –أي الظواهر – والفكر و وهو أهم ما تميزت به الحضارة الإسلامية، «فحين أن التحليل مهم في إطار البناء الكلي للوحي و الشعور والتاريخ و الواقع» [4]

و إذ كان المنهج التحليلي يقوم بتفتيت و تفكيك الظواهر المدروسة ، فإن المنهج الإسقاطي يقوم باستبدال هذه الظواهر بظواهر أخرى هي أشكال الأبنية النظرية الموجودة في

1 – حسن حنفي ، التراث والتجديد، مصدر سابق ، ص85.

2 – المصدر نفسه الصفحة نفسها .

3 – المصدر نفسه ص 85–86 .

4 – جيلالي بوبكر ، التراث والتجديد بين قيم الماضي و رهانات الحاضر ، مصدر سابق ، ص144–145.

ذهن الباحث– أي المستشرق– و التي تكون في الأغلب مطلقة أو نسبية ، سواء رأى –أي المستشرق–«أن الظاهرة موضوع الدراسة من خلال صورته الذهنية ، أو أنه رأى أن الظاهرة موضوع الدراسة ، فيبعد تفسيرها الحقيقي و يعطي بدلاً من ذلك تفسيراً مرتبطاً بأبنية النظرية و الصورة الفكرية، و في كلتا الحالتين يسقط الباحث الصورة الذهنية والأبنية نظرية على بحثه فتغيب الموضوعية»[1]

لما كان المستشرق لا يدرك إلا ما هو داخل ذاته كتصور ومعاني ذهنية مما يؤدي إلى غياب الموضوعية، فإنّ عملية الإسقاط في هذه الحالة ظاهرة سلبية بسبب خضوع الباحث لأهوائه هي و لانطباعاته، مما يجعل ضرورة التحرر من الأحكام المسبقة العقلية والانفعالية شرطاً ضرورياً للبحث العلمي؛ إذ يقول حنفي في هذا الصدد: «والضامن الوحيد لموضوعية الذاتية هو أنها تعتمد على الوحي باعتباره حقيقة موضوعية مستقلة غير موضوعة من الأفراد الذين تغلب عليهم وجهات النظر والمصالح، والأهواء...، كما أن براءة الشعور الأصلية قادرة على توجيه الذات نحو الموضوع دون قضاء عليه أو تزييف له ، وهي البراءة التي تعبر عن النية الخالصة من حيث وظيفتها المعرفية ».[2]

و أخيراً: المنهج الرابع. أي منهج الأثر و التأثر والذي يقوم على أساس إرجاع الظاهرة الفكرية إلى عوامل خارجية، مفرغاً إياها من مضمونها و محتواها؛ إذ يبرز هذا الحكم –أي الحكم على الموضوع المدروس– بمجرد وجود اتصال بين ثقافتين ووجود تشابه بينهما ، والأمثلة على ذلك كثيرة ؛ إذ يقول حنفي: «فقد قيل عن الفلسفة الإسلامية بوجه خاص أنها فلسفة يونانية مقنعة، و أنها ترديد لما قاله اليونان من قبل ... » [3]

ولما كان هذا الأسلوب – أي الأثر و التأثر – يجرد الموضوع المدروس من مضمونه وجدته و أصالته ورده إلى الخارج ، فهذا راجع بالضرورة –في نظر حنفي– إلى بيئة ثقافية

[1] – جيلالي بوبكر ، التراث والتجديد بين قيم الماضي و رهانات الحاضر ، مصدر سابق ، ص 145 .

[2] – حسن حنفي، التراث والتجديد، مصدر سابق ، ص 91.

[3] – المصدر نفسه ص 91–92.

خاصة، البيئة الأوروبية التي نشأ فيها المستشرق الخاضعة لهذا الأسلوب, فحين أن منهج الأثر والتأثر في الأساس في نظره فعل حضاري معقد يتم على مستوى اللغة والمعاني والأشياء ،« فإذ حصل التشابه بين حضارتين في اللغة فهو استعارة ،و إذ حصل في المضامين قد يكون السابق دافعاً للتالي على الإبداع ؛ لأن هناك حقائق إنسانية عامة وثابتة بلغتها عقول متفتحة أدركتها من دون أثر و تأثر الذي يقضي على فعل الروح و دور العقل و يرد كل شيء إلى مصادر خارجية و تلك هي غاية المستشرق الغربي»[1]

هذه مجمل أخطاء النزعة العلمية الاستشرافية التي حاول حسن حنفي أن يكشفها لنا وأن يسطر تحتها خطوط عريضة من أجل تجاوزها والتخلي عنها ، إلى جانب ذلك يوجد أخطاء مضادة وقع فيها أصحاب النزعة الخطابية، فمها تلك الأخطاء حسب وجهة نظر حسن حنفي؟

ب- النزعة الخطابية: هذه النزعة التي تسود معظم دراسات الباحثين الذين ينتسبون إلى الحضارة الإسلامية، وهي في الأساس نزعة مضادة للنعرة العلمية، حيث تعطي الباحث أولوية للوحي على التاريخ، إلا أنه «في مقابل هذا تشكل اتجاها عاطفيا منفعلاً وهو أقرب المراهقة الفكرية و الاندفاع، لأنه موقف لا يعبر عن أساس فكري، بل يعبر عن أزمة. أزمة الحق الضائع، و العجز العقلي، والتخلف الجماهيري»[2] ، و لما كانت النزعة الخطابية ذات طابع تميز بالسذاجة والمراهقة الفكرية ، فإنها –على حد تعبير حنفي نقص في الجدية ونقص في الوعي الإدراكي للمشاكل ، بل و يساعد على ذلك نقص في التكوين النظري للباحث، «هذا الأخير الذي يسعى لبلوغ الشهرة الإسلامية من خلال النزعة الخطابية ، فهو يعبر عن المستوى الحالي من تطور الحضارة و لكنه متخلف عن المستوى الثقافي لتراث القديم الذي استطاع دفع المشاكل وإيجاد حلول عقلانية لها»[3] ، ويؤكد حسن حنفي أنه«مادامت النزعة الخطابية لا تتوفر على مناهج محكمة ذات أصول

[1] – جيلالي بوبكر ، التراث و التجديد بين قيم الماضي و رهانات الحاضر ، مرجع سابق ص146.

[2] – حسن حنفي، التراث والتجديد، مصدر سابق ص 96 .

[3] – جيلالي بوبكر، التراث والتجديد بين قيم الماضي و الحاضر، مرجع سابق ص 146 .

وقواعد و خطوات، فهي عبارة عن دراسات تتميز بالتكرار والاجترار أو بالدفاع أو بالجدل والمهاترة أو بالحدس قصير المدى»[1] .

و منه فإن صفات النزعة الخطابية متعددة، من بينها التكرار والاجترار لمضمون النصوص القديمة المدروسة من غير تفسير أو فهم، مما جعله يعد أحد أهم أسباب الأزمة في الفلسفة الإسلامية و أخطرها، ما إذ كان الفيلسوف –على حد تعبير حنفي – يقوم بشرح النظريات التي قبله فيتحول التدريس إلى شرح على شرح، و بالتالي فإن «التكرار بغير فهم و وعي، راجع إلى الباحث الذي لم يحدد هدفه من قبل و لم يحركه حدسه مسبق ، فعوض أن يكون صاحب رسالة و دعوة، أصبح في هذه الحالة مجرد موظف و صاحب مهمة»[2] ،.إذن فالباحث الهادف –في نظر حنفي – لا يملك إلا واقعة واحدة يعبر عنها بصيغ وأساليب متعددة، وهذا ليس بتكرار بل إبراز وحدة الحدس بالرغم من تعدد المستويات و تنوعها.

أما بالنسبة لصفة الثانية والمتمثلة في التقريظ والدفاع عن التراث وعن التاريخ بغير فحص و تمحيص وبسبب الخلط بين التفكير والتبرير ، فالباحث في نظره– «يقبل موضوعه ثم يبرره و يدافع عنه بدون أن يضعه موضع التساؤل، و دون أن يحاول معرفة أي بناء نظري له أو أي أسس عقلية يقوم عليها»[3] ؛ لهذا يرجع حنفي نشأة كل من التقريظ و الدفاع عن التراث إلى عجز المثقف عن البرهنة العقلية و في تحديد الهدف و التخطيط للوصول إليه.

[1] – حسن حنفي ، التراث و التجديد ، مصدر سابق، ص 97 .

[2] – مصدر نفسه ، ص98 .

[3] – المصدر نفسه ص 99 .

خلاصة الفصل

نستخلص من خلال ما سبق ذكره أنه كل من دراسات المستشرقين ودراسات مفكري الإسلام المحدثين المعاصرين في نظر حتفي تدل على تكوينهم النفسي و الاجتماعي و ثقافتهم و واقعهم أكثر مما تكشف و تدل على واقع مدروس و مفسر، إذ يرى حنفي أن هذه المناهج عاجزة عن الوصول إلى الغاية التي منهجت لأجلها، ليس هذا فقط بل تعد أحد أهم أسباب تأزم الدراسات العربية والإسلامية ، ولهذا جاء مشروعه من أجل تجاوز هذين الخطأين.

و بالتالي فإن مهمة التراث والتجديد تهدف إلى معرفة التراث بأعلى درجة من الدقة والموضوعية ، وقراءته قراءة عملية اجتماعية لا قراءة تجريدية نظرية كدراسات السابقة "دراسات المستشرقين ودراسات مفكري الإسلام المحدثين« لأنها لم تأثر في الواقع، ولم تساهم في القضاء على المشاكل التي تعاني منها الأمة بل زادة من حدة تلك الأزمات وهذا راجعا إلى طغيان الجانب الذاتي وغياب الموضوعية في دراستهم وإلى أفكارهم الخطابية أكثر منها عملية ، نقلية أكثر منها إبداعية ، نصية أكثر منها واقعية ، لهذا ينبغي قراءتها قراءة اجتماعية عملية و ليس تجريدية نظرية »[1] .

[1] – حسن حنفي، من العقيدة إلى الثورة –المقدمات النظرية– ،ج1، ط1، (لبنان: دار التنوير للطباعة و النشر)، 1988م، ص 39.

❖ الفصل الثالث: أبعاد المشروع

- **المبحث الاول: مقاربة تحليلية في التراث لكل من محمد أركون ومحمد عابد الجابري**
- **المبحث الثاني: نحو تحقيق مشاريع فكرية عربية وضرورة التجديد والتحديث لمواجهة المسخ الثقافي**
- **المبحث الثالث: الرؤية النقدية لمشروع علم الاستغراب بين التأييد والرفض**

الفكر العربي هو منظومة فكرية عربية لم تكن حديثة العهد، فالعقل العربي واجه مجموعة من الإشكالات والقضايا ووقف عند كل واحدة منها، وقد تطور هذا الفكر عبر العصور نتيجة تأثره بالتحولات التي عرفها الإنسان في حياته وصولا إلى العصر الحديث والمعاصر. و لعل قضية التراث من القضايا التي برزت و قدمت لنا قراءة واعية في فكرنا العربي. ومن بين المشاريع الفكرية للتراث التي كان لها حضورها مشروع (التراث والتجديد) لحسن حنفي، و مشروع الاسلاميات التطبيقية لمحمد أّركون و مشروع (نقد العقل العربي) لعابد الجابري.

فمن خلال هذه القراءات كيف كانت الرؤية التراثية لكل من محمد أركون ومحمد عابد الجابري؟ وكيف ترقى المشاريع الفكرية إلى التجديد و تناهض الواقع؟ وهل مشروع علم الاستغراب لم يسلم من النقد؟

المبحث الاول: مقاربة تحليلية في التراث لكل من محمد أركون ومحمد عابد الجابري

1-قراءة محمد أركون للتراث

طرح أركون بدعوته إلى الاسلاميات التطبيقية مسألة العلاقة بين التراث والحداثة، وهي إشكالية كبيرة وقديمة رافقت الفكر العربي وما زالت قائمة في بنية الخطاب العربي المعاصر، يقول أركون: «أنا لست أصولياً ماضوياً.. الذي أريده إقامة مقارنة جادة بين البعد الديني، ومعطيات العلوم الإنسانية، والاجتماعية.. البعد الديني بكل ما يعنيه من قيمة روحية لوجود البشر، وبين فتوحات الحرية التي حققها العقل العلماني في أوروبا » [1].

هذا المشروع معروف بـ (الاسلامولوجيا) أو الإسلاميات التطبيقية كما أراد هو جريا على ما يعرف في العلوم الاجتماعية بـ (الانثروبولوجيا التطبيقية) ويحدد هذا العلم الذي دشنه فيقول (فهذا العلم الذي دشنته، قبل بضع سنوات، يهدف إلى قراءة مطبقة لماضي الإسلام وحاضره انطلاقا من خطابات المجتمعات الإسلامية والعربية وحاجياتها الحالية) [2]،أما مترجمه وشارحه هاشم صالح فيعرف الإسلاميات التطبيقية بقوله (يقصد اركون بالإسلاميات التطبيقية

[1]- محمد أركون ، من الاجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي ،تر هاشم صالح ، دار الساقي ، بيروت، ط1 ، 1991م ،ص 256

[2]- المرجع نفسه ، ص 35.

تلك المنهجية الجديدة التي اخترعها هو شخصيا لكي يتجاوز منهجية الإسلاميات الكلاسيكية الخاصة بالمستشرقين بعد أن يأخذ كل ما هو مفيد منها) [1].

يرى أركون أن التراث يتكون من ثلاثة طبقات متفاعلة ومتداخلة مع بعضها البعض في ما يسمى " التراث الإسلامي " ويقسمها إلى ثلاثة مستويات :

1- **المستوى العميق:** وهو ما يسميه جورج بالانديه ب " الطبقة الأصيلة " ، وهذه الطبقة تمثل التراث العتيق أو القديم ، وهي تشتمل حتى على العادات و التقاليد التي كانت قبل الإسلام ،واستمرت معهم لما بعد.

2- **المستوى الثاني :** يسميها بالانديه ب " الطبقة الإسلامية " وتمثل (التراث الإسلامي المقدس و المثالي كما تراه كل جماعة أو فرقة من الفرق الإسلامية ..ترسبت هذه التُراثات بواسطة مجموعات الحديث التي أنجزتها كل جماعة ،والتي ترى في تراثها الخط الصحيح أو الإسلام الصحيح) [2]،فلكل فرقة تراثها الخاص ،ونصوصها ،وهذا ما يفسر التصارع بيف الفرق إلى حد تكفير بعضها البعض .

3- **المستوى الثالث :** وهي طبقة نتجت عن مؤثرات الاستعمار وما أحدثها من تأثير ثقافي واقتصادي وسياسي ،كالقوانين الحديثة والتصورات الجديدة ،وهو ما يسميه أركون ب "التتريث" أي جعل أمور كثير تدخل دائرة التراث مع اعطاءها صبغة اسلامية (نجد أن الدول الجديدة تبحث عن مشروعية مستندة على التراث الإسلامي) [3]

إن الملاحظ أن أركون يركز أكثر في دراساته على المستوى الثاني ،وما يتضمنه من التراث الإسلامي المقدس ،يحاول دراسة المعتقدات و العادات الإسلامية المتوارثة من جيل لآخر ،وينظر إليه نظرة شمولية وهي ميزة لفكر أركون ،فالتراث الإسلامي عنده تراث كلي سواء كان شيعي أو سني أو خوارجي ، دون تميز بين أحد منهم .

إن منهج أركون البحثي يقارب قراءة النصوص، والظواهر الاسلامية بنوع من رفض اللغة الدعائية والشعاراتية ،والتبجيلية ،والرؤية التقليدية الماضوية التي ترى كل الكمال في هذا التراث، وانه يمكن استعادة هذا التراث، وتوظيفه كاملاً في بناء الحياة الواقعية الجديدة... فأركون يرفض

[1] – محمد أركون ، من الاجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي ، ص197.

[2] – محمد أركون، الإسلام والأخلاق والسياسة، تر هاشم صالح ،مركز الإنماء القومي، بيروت ،ط 1، 1990، ص 116.

[3]– محمد أركون، الفكر الإسلامي، قراءة علمية، تر هاشم صالح ،مركز الإنماء القومي، بيروت ط 2 ،سنة 1996م، ص 30

هذه الرؤية "اللاتاريخية"، بالمقابل يفتح أركون نوافذه على معطيات الحداثة الغربية بالأخص دراسات العلوم الإنسانية، والاجتماعية والتي حلت محل التفسيرات اللاهوتية، والاسطورية.

أما التحديث فيراه أركون جانبا تقنياً يتعلق باستخدام التقنيات الحديثة بالمعنى الزمني وإدخالها الى الساحة العربية والإسلامية.

الإنسية كما يصفها اركون هي الروح المتعالية على الشوفونية و–هي المغالات في التعصب نسبة لنيكولا شيفون–، والعرقية الضيقة.. فهي انفتاح على الآخر بثقافته، وقيمه وتصوراته ، ويرى ان هذه الإنسية تجلت لدى أعلام كبار في الثقافة العربية منهم "أبو حيان التوحيدي" رمز التمرد والإبداع، وضحية الانغلاق والتحجر لدى بعض الفقهاء والساسة ، الذين رموه بالزندقة والخروج.. كما يرى أن الجاحظ مثقف أنسي منفتح على الفكر اليوناني، والفارسي، والعربي الاسلامي.. بذلك يكون الجاحظ والتوحيدي قد مثلا الحداثة العربية الاسلامية في عصرهم.

يذهب أركون الى أن الحداثة العربية الاسلامية في القرن الرابع الهجري ارتبطت بالتيار العقلي ،والفلسفي ،والعلمي .. وكان ابن رشد خير ممثل لهذا التيار الذي لعب دوراً بارزاً في الساحة الاوروبية إبان عصر النهضة الاوروبية عبر تيار العقلانية الرشدية ذي السمة الفلسفية بذلك يكون قد جسد الحداثة في عصره بكل خصوصيات الروح ،والزمان ،والمكان ،هناك علامات فكرية كبيرة عند أركون يجب طرحها : ففكره يحمل التحول والتغيير الواعي والهادف ونظرته للإسلام أنه كان تحولاً حداثياً كبيراً في عصره ،حيث شكل الخطاب القرآني تغييراً جذرياً لبنية ثقافية ،واجتماعية تحمل وهجها ،وبلاغتها ،وابداعها ،وخيرها الإنساني لكن يرى أركون أن الثقافة (الدوغمائية)الجامدة التي كرسها الغالب من الفقهاء .. والذين يسميهم ماكس فيبر (المسؤولون عن تسيير المقدس) أضعفوا الكثير من وهج هذا الفكر وروحية خطابه ،ورهنوه بثوابت لا تقرأ زمن التحول.

لقد قدم محمد أركون فكراً رائعاً يعتد به، ومنهجاً معرفياً في قراءة الاسلاميات ،واستطاع مقاربة الفكر الاسلامي بعقل حي، ومعرفي، ومنفتح.. عقل علمي ، وبحثي ، كما قدم منظومات فكرية إسلامية نقدية منهجها تطبيقي كالنقد الأدبي في قراءة النص ،وكشف جوانبه ،متحرراً من

عقد الزمان ،والمكان ،والأسماء، وفكرة التعظيم الموروث ، ففكر محمد أركون هو بمثابة منهج معرفي ،ودليل لقراءة الكثير من المعارف و المناهج في العلوم الحديثة أو تراثنا الإسلامي .

كما تبرز أهمية مشروع أركون الفكري في قيامه بدور الوساطة بين العالم الإسلامي والعالم الغربي ،وخاصة والمرحلة القادمة تتطلب التقليل من التوتر و الصراع ، ومحاولة التقريب بين وجهات النظر وتكريس لغة الحوار والتعايش ،ولعل الإسلاميات التطبيقية التي اقترحها ما هي إلا استراتيجية لتجاوز تلك القراءات الكلاسيكية والقفز نحو رؤية جديدة ترتكز على العقل و المعرفة .

2-قراءة محمد عابد الجابري للتراث:

يرى محمد عابد الجابري في دراساته الفكرية والفلسفية المختلفة بأن التراث العربي الإسلامي يتمظهر بشكل جلي في العقيدة، والشريعة، واللغة، والأدب، وعلم الكلام، والفلسفة، والتصوف...،كما انه من المستحيل تحقيق نهضة عربية إسلامية معاصرة، بدون أن ننطلق من تراثنا العربي الإسلامي، أو ننتظم داخل تراث غيرنا، بل علينا أن نقرأ تراثنا بأدوات جديدة، وبعقلية معاصرة، تنطلق من تصورات بنيوية داخلية، واستقراء لحيثيات الموروث مرجعيا وتاريخيا، قصد استقراء أبعاده الأيديولوجية لمحاربة التخلف، ومواجهة طغيان الاستعماري، وتقويض النزعة المركزية الأوروبية فضحا وتعرية وتفكيكا.

كل هذا من أجل تشييد ثقافة عربية أصيلة مستقبلية، تكون أرضية ممهدة لانطلاقنا حيال المستقبل، فلابد -إذاً- من خطوة إلى الوراء من أجل خطوتين إلى الأمام، بشرط أن تكون قراءتنا موضوعية قائمة على الاستمرارية والتأويل المعقلن، وذلك في ضوء تصورات معاصرة متجددة. علاوة على ذلك،«لا يمكن أن تتحقق النهضة الفكرية إلا بالتعامل مع التراث داخل الثقافة نفسها، بممارسة نقد الماضي والحاضر معا: «إنه بممارسة العقلانية النقدية في تراثنا وبالمعطيات المنهجية لعصرنا، وبهذه الممارسة وحدها، يمكن أن نزرع في ثقافتنا الراهنة روحا نقدية جديدة وعقلانية مطابقة، وهما: الشرطان الضروريان لكل نهضة». [1]

1 - د. محمد عابد الجابري: (التراث ومشكل المنهج)، المنهجية في الأدب والعلوم الإنسانية، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، الطبعة الأولى سنة 1986، ص87.

يقول محمد عابد الجابري في كتابه "نحن والتراث"« نحن لا نمارس النقد من أجل النقد بل من أجل التحرر مما هو ميت أو متخشب في كياننا العقلي وإرثنا الثقافي»[1] ،ومن هنا يبرز الجابري القراءة للتراث إلى ثلاثة قراءات:

أ) **على المستوى السلفي:** يقول فيه موضحا« التيار السلفي في الفكر الحديث والمعاصر، التيار الذي انشغل أكثر من غيره بالتراث وإحياءه واستثماره في إطار قراءة إيديولوجية ساخرة، أساسها إسقاط صورة المستقبل المنشودة للمستقبل الإيديولوجي على الماضي ثم البرهنة انطلاقا من عملية الإسقاط هذه على أن ما تم في الماضي يمكن تحقيقه في المستقبل» [2] . يبدو للجابري في هذا النقد السلفي أن هناك غياب للروح النقدية، أي أن التيار السلفي أحيا التراث انطلاقا من التراث نفسه، إعادة التراث دون النبش في الماضي والحفر في محتوياته، بمعنى أنه غير قابل للتجديد والتأسيس. على غرار ذلك يصرح الجابري« إن القراءة السلفية للتراث قراءة لا تاريخية وبالتالي لا يمكن أن تنتج إلا نوعا واحدا من الفهم للتراث هو : الفهم التراثي للتراث ، يحتويها وهي لا تستطيع أن تحتويه لأنها: التراث يكرر نفسه» [3]، ومن هنا نستنتج أن هناك فقدان للنظرة التاريخية للتراث. فهي تقوم على منهج يعتمد بالفهم التراثي للتراث.

ب) على المستوى الماركسي: يقول الجابري « إن الليبيرالي ينظر إلى التراث العربي الإسلامي من الحاضر الذي يحيا حاضر الغرب الأوروبي، فيقرأه قراءة أروبية النزعة أي ينظر إليه من منظومة مرجعية أوروبية ولذلك فهو لا يرى فيه إلا ما يراه الأوروبي» [4]. إذ أن هذه الصورة الماركسية التي تعتمد هي الصورة المادية في تعاملها مع التراث وهي صورة إيديولوجية لفهم التراث وتشتغل بدورها ضمن الرؤية المركزية الأوروبية.

ج) القراءة العلمية الاستشرافية: يقول الجابري « إن الرؤية الاستشرافية تقوم من الناحية المنهجية على معارضة الثقافات لقراءة تراث بتراث ومن هنا المنهج الفيلولوجي الذي يجتهد في رد كل شيء إلى أصله وعندما يكون المقروء هو التراث العربي الإسلامي فإن

---

[1] – محمد عابد الجابري– تكوين العقل العربي– دار النشر المغربية – الدار البيضاء – الطبعة الثامنة – ص 7 – 8 .

[2] – محمد عابد الجابري – نحن و التراث– قراءة معاصرة في تراثنا الفلسفي – الطبعة السادسة 1993– المركز الثقافي العربي– بيروت / الدار البيضاء –ص12.

[3] – المرجع نفسه ص13 .

[4] – المرجع نفسه الصفحة نفسها.

مهمة القراءة تنحصر حينئذ في رده إلى أصوله اليهودية والمسيحية والفارسية واليونانية والهندية» [1]، تمتاز هذه الصورة حسب الجابري بتكريس النزعة الإستعمارية والغض من قيمتها على المستوى المعرفي والعلمي وترجيح الكفة العقلية الألية.

توحي لنا هذه القراءات للتراث ، التي عمل الجابري على نقدها في دراسة التراث العربي الإسلامي الطريقة التراثية التي تقرأ التراث بالتراث، كما يتبين ذلك جليا عند علماء الدين التقليديين الذين ينطلقون من تصورات تراثية أو سلفية، والطريقة الإيديولوجية التي تقرأ التراث من وجهة مادية تاريخية أو في ضوء مقاربة ماركسية، والقراءة الخارجية للتراث، كما عند المستشرقين وأتباعهم من المفكرين العرب الذين يقرأون التراث، إما قراءة ذاتية وإما قراءة فيلولوجية وإما قراءة تاريخية، والغرض منها تقوية النزعة الاستعمارية من جهة، وتثبيت المركزية الأوروبية من جهة ثانية، وتكريس التبعية المستلبة من جهة ثالثة.

2-1- القراءة المنهجية للتراث عند الجابري

ومن هنا جاء الطرح في قراءة عابد الجابري للتراث قراءة ثلاثية الأبعاد منهجيا، ويعني هذا أن قراءة الجابري لها صورة بنيوية تكوينية، تستند إلى ثلاث خطوات منهجية أساسية، وهي: الطرح البنيوي الداخلي، والطرح التاريخي، والطرح الإيديولوجي.

أ) **القراءة الأولى: المعالجة البنيوية الداخلية:** تنطلق من النص كألفاظ أولا، ومعان ثانيا، وقضايا وإشكاليات ثالثا. بمعنى أن نتعامل مع النص كمعطى، ولا نهتم بالأحكام الخارجية المسبقة حول التراث، أو الانسياق شعوريا أولا شعوريا وراء الرغبات الحاضرة، فلا بد من الانطلاق من النصوص فهما وتفسيرا وتأويلا. وفي هذا النطاق، يقول الجابري عن المعالجة البنيوية بأنها تعني:" ضرورة وضع جميع أنواع الفهم السابقة لقضايا التراث بين قوسين، والاقتصار على التعامل مع النصوص، كمدونة، ككل تتحكم فيه ثوابت، ويغتني بالتغيرات التي تجري عليه حول محور واحد. هذا يقتضي محورة فكر صاحب النص(مؤلف، فرقة، تيار...) حول إشكالية واضحة قادرة على استيعاب جميع التحولات التي يتحرك بها ومن خلالها فكر صاحب النص، بحيث تجد كل فكرة من أفكاره مكانها

[1] – محمد عابد الجابري ،نحن والتراث – مرجع سابق، ص14.

الطبيعي (أي المبرر أو القابل للتبرير) داخل الكل. إن القاعدة الذهبية في هذه الخطوة الأولى هي تجنب قراءة المعنى قبل قراءة الألفاظ (الألفاظ كعناصر في شبكة من العلاقات، وليس كمفردات مستقلة بمعناها). «يجب التحرر من الفهم الذي تؤسسه المسبقات التراثية أو الرغبات الحاضرة. يجب وضع كل ذلك بين قوسين، والانصراف إلى مهمة واحدة هي استخلاص معنى النص من النص نفسه أي: من خلال العلاقات القائمة بين أجزائه» [1]

ب) **القراءة الثانية: التعامل مع التراث:** فتستند إلى قراءة فكر صاحب النص قراءة تاريخية، تتكئ على استقراء الظروف التاريخية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية في فهم أطروحاته وتفسيرها .إن:" هذا الربط – يقول الجابري– ضروري من ناحيتين: ضروري لفهم تاريخية الفكر المدروس وجينيالوجياه، وضروري لاختبار صحة النموذج (البنيوي) الذي قدمته المعالجة السابقة .والمقصود بالصحة هنا ليس الصدق المنطقي، فذلك ما يجب الحرص عليه في المعالجة البنيوية، بل المقصود الإمكان التاريخي: « الإمكان الذي يجعلنا نتعرف على ما يمكن أن يقوله النص، وما لا يمكن أن يقوله، وما كان يمكن أن يقوله، ولكن سكت عنه» [2]

ج) **القراءة الثالثة: الطرح الإيديولوجي:** فهي خطوة البحث عن الوظيفة أو الوظائف الأيديولوجية التي يؤديها الفكر المعني داخل سياقه الدلالي والتاريخي والمرجعي، أو داخل المنظومة المعرفية التي يشتغل فيها صاحب النص. فالكشف:«عن المضمون الإيديولوجي للنص التراثي هو الوسيلة الوحيدة لجعله معاصرا لنفسه، لإعادة التاريخية إليه» [3]

ويلاحظ أن هذه الخطوات متتابعة ومتعاقبة: مرحلة التحليل البنيوي الداخلي، ومرحلة التحليل التاريخي الخارجي، ومرحلة التأويل الإيديولوجي. ويعني هذا أن محمد عابد الجابري متأثر بطريقة من الطرائق بتصورات لوسيان كولدمان (Lucien Goldmann) صاحب البنيوية التكوينية، والذي يعتمد في قراءته للآداب والظواهر السوسيولوجية على مبدأين: الفهم والتفسير. بمعنى أن لوسيان كولدمان يقرأ النص قراءة داخلية كلية لاستخلاص البنية الدالة، ثم يقوم بتفسيرها في ضوء

[1] – محمد عابد الجابري، نحن والتراث – مصدر سابق ، ص:85.

2 – المرجع نفسه، ص86.

[3] – المرجع نفسه .، ص 86

المعطيات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وذلك من أجل الوصول إلى الرؤية للعالم التي يتضمنها النص المعطى، وهي رؤية إيديولوجية ليس إلا. كما يتأثر محمد عابد الجابري ببول ريكور(Paul Ricoeur) الذي يدعو إلى الجمع بين الطرح البنيوي الداخلي، و القراءة السياقية المرجعية التي تهتم بالذات و المقصدية والإحالة. ويعني هذا أن الجابري يجمع بين الذات والموضوع، وبين الداخل والخارج.

يتبين لنا بأن منهجية محمد عابد الجابري في تعامله مع التراث العربي الإسلامي، وبالأخص في مجال الفكر والفلسفة، فمنهجية الجابري تقوم على مجموعة من المبادئ الرئيسية، وهي: ضرورة القطيعة مع الفهم التراثي للتراث، وفصل المقروء عن القارئ لتحقيق الموضوعية، ووصل القارئ بالمقروء لتحقيق الاستمرارية، والاعتماد على رؤية منهجية قائمة على وحدة الفكر ووحدة الإشكالية، والانطلاق من تاريخية الفكر برصد الحقل المعرفي والمضمون الأيديولوجي، حين التعامل مع الفكر الإسلامي والفلسفة على سبيل التخصيص.

فالتراث يعد هاجسا أساسيا عند الجابري«فقد كان يريد أن نملك التراث لا أن يملكنا كما هو واقع الحال» [1] يريد الجابري أن ينقذ العقل العربي من التفتت إلى نوع من الوحدة بمرجعيته، ربما التقطها من صورة المجتمع الغربي، فأراد بذلك أن يطبق فكرة التحرر من التراث بأساليب حداثية غربية دون أن تكون هناك قطيعة. وهذه حقيقة لا غبار عليها لأن فكرة التجاوز ليس معناه الانفصال عن التراث وإنهائه، وإنما تأسيسا للتراث يتطلب الانطلاق منه وإبعاد القداسة عنه وهدم الأفكار السائدة للتراث.

[1] – محمد الشيخ . محمد عابد الجابري . مسارات مفكر عربي، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت لبنان ط1 ،2011 ص20

المبحث الثاني: نحو تحقيق مشاريع فكرية عربية وضرورة التجديد والتحديث لمواجهة المسخ الثقافي

ثمة مفكرين عرباً، حاولوا أن ينتجوا مشاريع فكرية للبحث عن منفذ، فكل مشروع فكري لا بد وانه يسعى للارتقاء بالمجتمع علماً ووعياً وإدراكاً، ولذا فالأطروحات الفكرية ومشاريعها لا يستطيع الإتيان بها أي فرد، لكونها تتطلب قدرات استثنائية وغير عادية يمتلكها هذا المفكر أو ذاك ضمن إطار منهجي وأدوات معرفية، ما يعني استناده على روافد غزيرة من المعرفة والإنتاج الفكري، مشهوداً له بالتمحيص والتقليب والتوثيق، وباستقلالية في المقاربة والموقف.

وان مساهمتهم ما هي سوى خطوات إلى الأمام على طريق قد ينتج عنه تحقيق الحلم لاسيما وهم يواجهون سؤالاً حارقاً ظل معلقاً منذ عقود: لماذا تقدم الآخرون؟ وتأخرنا نحن؟

إن طرح أية رؤية جديدة للتحديث إنما تبنى على قراءة الواقع وقراءة جهود الآخرين وما قدموه من أفكار خلاقة، وتاريخ الفكر بناء مستمر وحلقات متتابعة، ولا شيء يأتي من الفراغ.

والخطاب الثقافي الفكري الحديث لا بد وأن يتجادل مع القضايا الجوهرية في الثقافة العربية، في الفكر العربي بكل تنويعاته ولا سيما التراث.

والدعوة لخطاب ثقافي فكري جديد يعني الثورة لأنه تحرير للعقل والمنهج والرؤية، والمفكر الوطني المخلص والغيور على قضايا أمته ومصالحها ونهضتها، هو الحامل للرؤية التنويرية في التحديث والتحرير

1-قضية التخلف في البلاد النامية:

قد «لا تكون هذه المجتمعات متخلفة بل مختلفة نوعيا عن غيرها ، مجتمعات تراثية ترتبط بالقديم ، في مقابل مجتمعات تراثية منفصلة عن القديم ، وليس أحدهم مقياسا للآخر، وليس أحدهما خيرا والآخر شرا »[1]

فإذا كان مشروع التراث والتجديد –من وجهة نظر حنفي– ردة فعل على القراءات الناقصة للتراث، سواء تلك التي تحمله على الأكتاف تظنه مقدساً لا يتغير، أو تلك التي تريد التغيير والتجديد متخذة الغرب نموذجاً لها، فإنه بذلك يعتبر جزءاً من العمل الإيديولوجي للبلاد

[1] – حسن حنفي، مقدمة في علم الاستغراب مصدر سابق ، ص 760 .

النامية ، من أجل تصفية المعوقات الفكرية للتنمية ووضع أسس فكرية جديدة لتطوير الواقع، و ذلك لأن قضية التراث والتجديد هي وحدها الكفيلة بإعطاء أيديولوجية قومية للبلاد النامية [1].

يسطر حسن حنفي أهم المتطلبات التي يسعي إلى تحقيقها من وراء مشروعه من خلال «محددات البدن الضعيف لا تصييب الروح السليم. وهما مستويان متمايزان الواقع والماهية. وإذا كانت الشعوب الأوربية قد استطاعت تجاوز محددات البدن إلا أن الروح خاوية فإن شعوب العالم الثالث و إن كانت لم تتجاوز محددات البدن بعد إلا أن الروح عامرة» [2]

أولا: التحرر من الاحتلال و كل أشكال الاستعمار المباشر من الاحتلال العسكري أو غير عسكري ، إذ يشير حنفي إلى الباحث اليوم أن يجعل استقلال الأرض نصب عينيه و هدفه الأول والأخير الذي لابد أن يحققه.

2-قضية التنمية ضد التخلف:

ذلك بالتخلص من مختلف أشكال التخلف باعتباره ثاني مأساة العصر الحالي، سواء التخلف المادي؛ مثل: (الفقر، الأمية، والجهل، ..إلخ) أما التخلف المعنوي؛ مثل: (سيادة الأسطورة، عبادة الشخص ..إلخ)، و ذلك من خلال«الربط بين الدين و التنمية بين اللاهوت و التغيير الاجتماعي، إذ يشير حنفي إلى أن وعي الباحث بالتراث القديم يجعله مضطراً لإعادة بناء القديم أمام تحقق التنمية و يتجاوز بذلك التخلف الذي نعاني منه اليوم» [3]

3-قضية التقدم ضد الركود الفكري:

وذلك من خلال« القضاء على الركود الفكري السائد في عصرنا الحالي»[4] ، بالإضافة إلى حل طلاسم الماضي مرة واحدة و إلى الأبد، فك أسوار الموروث حتى لا تعود إلى الظهور والقضاء على معوقات التحرر واستنباطها من جذورها ، و بالتالي« فالتجديد يعد مطلباً ضرورياً للواقع لتجاوز كل أشكال النقص في الفكر العربي الإسلامي من خلال تفجير طاقات الإنسان المختزنة المعاصرة بين القديم والجديد» [5]

---

[1] – حسن حنفي ، التراث والتجديد، مصدر سابق ، ص49 .

[2] – حسن حنفي ، مقدمة في الاستغراب، مصدر سابق ، ص763 .

[3] – حسن حنفي ، التراث والتجديد، مصدر سابق ، ص50-51 .

[4] – المصدر نفسه ، ص 51.

[5] – المصدر نفسه ، الصفحة نفسها.

لقد بدأت النهضة في العالم العربي منذ القرن التاسع عشر وأخذت بعدها في إبراز الكيان العربي، خاض فيها الشعب العربي معارك التحرر الوطني في الأقطار المجزأة ضد المستعمرين وتحقق استقلال بعض الدول العربية، وأخذ ينمو وعي سرّع عملية النهوض والتي انطلقت من مصر عقب ثورة عام 1952م، وامتد تأثيرها إلى الوطن العربي على امتداد الخمسينيات والستينيات، فقويت الحركة القومية وانتشر الفكر الاشتراكي، ونهضت الثقافة: الفكر والعلوم والآداب والفنون..

4-قضية التراث والتحديث:

إن التراث بالنسبة لنا هو التاريخ والحضارة والذاكرة والهوية، وتحديث الفكر لا يستطيع تجاهل تلك الحقيقة وتغييبها، يقول د. زيعور: «حفاظاً على الصحة النفسية والعقلية، لا يجوز للعربي ولا يقدر على التخلي عن تراثه والانسلاخ عن ثقافته. إذ بذلك يستأصل جذوره وينفصل عن حقله التاريخي. حتى التشكيك بقيمة الموروث الحضاري عملية تزعزع الثقة بالنفس وبالنحن لأنها تخل بالتوازن بين الأنا وحقلها الحضاري الذي يعطي الإنسان عمقاً، وقيمة، وشعوراً بالانتماء ومن ثمت بالأمن والاطمئنان أي بالقدرة على الاستمرار والتكيف» [1]

إن العرب صنعوا حضارتين على المستوى العالمي: الحضارة الأولى القديمة ما قبل الإسلام والتي امتدت آلاف السنين في عمق التاريخ: الحضارة الكنعانية الفينيقية، والسومرية والآشورية والبابلية، والمصرية إضافة إلى حضارة تدمر والأنباط وجنوب الجزيرة سبأ وحضرموت... وقد أنتجت الفكر والعلوم المتنوعة كالهندسة والفلك والزراعة والصناعة والتجارة، واللغة والأديان... والثانية: الحضارة العربية الإسلامية التي امتدت حتى القرن الثالث عشر الميلادي، ثم بدأت بالانحدار.

إذاً بنية الفكر العربي تمتد جذورها لآلاف السنين، وليس جوهرها التراث الديني وحده. بينما بنية الفكر العربي الإسلامي هي في جوهرها دينية، والعرب هم حاملو الفكر الإسلامي، وبالتالي لا يمكن تصور أحدهما بمعزل عن الآخر.

[1] – علي زيعور التحليل النفسي للذات العربية "أنماطها السلوكية والأسطورية" – دار الطليعة – الطبعة الأولى، أيار 1977 – بيروت. ص 114، 115

فالتراث العربي القديم هو المؤسس لما جاء بعده فلا شيء يأتي من الفراغ، وإنما تراكمات عبر عصور تسلم نتاجها إلى بعضها.

فالتحديث الحقيقي ثورة لأنه تحرير للعقل والمنهج والرؤية، والمفكر الوطني المخلص والغيور على قضايا أمته ومصالحها ونهضتها أياً كان الثوب الأيديولوجي الذي يرتديه، هو الحامل للرؤية التنويرية في التحديث والتحرير.

وقد كانت مراحل النهوض تبحث عن هوية للعرب، عن هوية للتحديث، هوية للفكر العربي الحديث، ولكنها لم تسع لتأسيس مدرسة فكرية متكاملة، ولا نظرية معرفة عربية..

والبحث عن أرضية مشتركة لجميع التيارات الفكرية ضرورة ملحة، ولكنه يحتاج إلى ثورة فكرية في المنهج والتحليل، ورؤى جديدة في المفاهيم، والاستفادة من تاريخية النهضة وجدليتها، للوصول إلى النقاط الفكرية المشتركة بين التيارات المتعارضة التي جمعها برنامج المقاومة والإصلاح والديموقراطية، وصوغ نظرية معرفية موحدة للفكر العربي الحديث ضمن الجدلية الثلاثية.

فالغرب لا يريد العرب أن يكونوا دولة علمية قوية قادرة على التطور والنهوض، ولا يريد أيضاً انتشار التفكير العلمي المنهجي في الوطن العربي، فمصلحته أن تبقى الدول العربية دولاً متخلفة ومجزأة ضعيفة تعتمد عليه، وقد نجح في ذلك إلى حد كبير وجعل الأنظمة العربية التابعة له تبني مجتمعاتها على المعاصرة وليس التحديث، وتلك الأنظمة لا تريد أكثر من ذلك!

لذلك تجب مواجهة كل القضايا الخلافية والتفاهم حولها لضمان سلامة المشروع النهضوي.

المبحث الثالث: الرؤية النقدية لمشروع علم الاستغراب بين التأييد والرفض

تعددت الدراسات و البحوث حول إشكالية التراث و التجديد في علم الاستغراب عند حسن حنفي ، فاختلفت وجهات النظر بين من يعتقد أنه مشروع ناجح و فعال ينهض بالأمة و يغير أحوالها ، و يقضي على كبوتها التي دامت زمنا طويلا و لا زالت ، و يراعي مستلزمات العصر و متطلباته. ومن يعارضه و يعاكس الرأي الأول فيسجل عليه عدة نقاط سلبية أو مرفوضة ، ليست وليدة البيئة الإسلامية و يستنكر مبادئه و هناك من يجد الأخطاء في منهجه و في طريقة إيصال فكره.

النقد:

من بين أبرز نقاده جورج طرابيشي الذي خصص كتابا للدراسة التحليلية النقدية لمحصوله الفكري من كتب و مقالات و محاضرات..، فقد لاحظ أنها تحتوي على كم هائل من التناقضات و التضاد في المواقف . « أول ما يلفت النظر و أكثر ما يلفت النظر في كتابات حسن حنفي قدرة كاتبها شبه اللامحدودة على مناقضة نفسه. فهو لا يضع قضية الا و ينفيها و لا يبدي رأيا الا ليقول بعكسه» [1]

يشير من خلال هذه الدراسة إلى حدة التناقض الذي وقع فيه حسن حنفي أو ما يسميه (رقصة المتناقضات) فقد حازت على قدر واسع من كتاباته ، مما تجعل أي دارس له يلاحظها كونه تفوق فيها و أبدعها. فلم تكن بين مؤلف أو اثنين فقط بل فاقت التصورات حتى وصلت إلى صفحات الكتاب الواحد يقول طرابيشي :« لو شئنا حصر كل تناقضات حسن حنفي في كتاباته ، لكان علينا أن نعيد كتابة جميع مؤلفاته تحليلا و تلخيصا و مقابلة»[2] نظرا لمبالغة حنفي في تعاكس أفكاره فما إن تضبط فكرة له إلا و تجده يفندها في طرح آخر بعد أن كان يمتدحها و يؤمن بها، " فالحقيقة عند حسن حنفي حقيقتين : «حقيقة مطابقة لموضوعها ، و تلك هي حقيقة الفيلسوف و حقيقة مطابقة لرغبتها ، و تلك هي حقيقة النبي. » [3] كما نجده يصنف

---

[1] – جورج طرابيشي ، المرض بالغرب –ج 2 – ازدواجية العقل (دراسة تحليلية نقدية لكتابات حسن حنفي) ، دار ورد للنشر و التوزيع ، ط 1 2005 ، سوريا دمشق ، ص 9 .

[2] – المرجع نفسه ، ص 10 .

[3] – المرجع نفسه ، ص 69 .

هذه التناقضات إلى عدة أصناف من بينها: التناقض في الموقف المنهجي : و يتجلى ذلك في استخدامه لمنهج من المناهج في عدة دراسات و بيان مزاياه و محسناته ثم التنكر له، هذا و قد ضرب هذا الأخير عدة أمثلة توضح مدى تذبذب آراء حنفي و عدم تمسكه بموقف معين في الجانب المنهجي من بينها التناقض الذي تعثر فيه في مسألة تطبيق المناهج العلمية على الدين الإسلامي فمن جهة يحاول أنسنة الدين و جعله كسائر العلوم الإنسانية الأخرى يفسر و يؤول و تعاد دراسته و يطرأ عليه التغيير و ينزع غطاء القداسة عليه ، و من جهة أخرى يجعل منه ظاهرة مثالية متعالية من غير الممكن ردها إلى العلوم الإنسانية و إخضاعها للتحليل و التركيب.

1- **الموقف من الترجمة:** يقدم طرابيشي قائمة من الأخطاء التي تعثر بها حنفي في ترجمته لبعض أعمال الفلاسفة مثل: سبينوزا ، سارتر، .. و نقلها من اللغة الفرنسية أو الإنجليزية... إلى اللغة العربية و تنوعت هذه الزلات من عدم كتابة الإسم الصحيح لشخصية من الشخصيات ، أو عدم النقل الصحيح للمعنى من بينها : «عدم الدقة في ضبط أسماء الأعلام .. فيحدثنا مثلا عن "سلس" و المقصود "قلسوس و عن "جيستان" و المقصود "يوستينوس"، و ترجم أرض فلسطين المعروفة في التوراة باسم (اليهودية) يصير اسمها (جوديا) .... »[1] و الأمثلة التي ذكرها طرابيشي كثيرة و يختمها بقوله «... عندما يكون المترجم هو حسن حنفي نفسه ... فما يفعله ليس الترجمة بل تعريب لنص عربي فقد أصله و لم يبق منه سوى ترجمته. »[2]

2-**التناقض في مواقف من القضايا:** جمع فيه طرابيشي عدة أمثلة و اقتباسات مما كتبه حنفي يوضح من خلالها الاختلاف و التضاد بين موقف و آخر من بينها:

"التاريخ تغير و تقدم و ارتقاء ، و الوحي لا تقدم فيه» / " الوحي هو عامل التقدم "

" الوحي فكر جاهز " / "الوحي هو مصدر الفكر"

" العودة الى الطبيعة فالطبيعة هي مصدر الفكر"/ " الطبيعة لا تنتج فكرا "

[1] – زينب موسى مفتاح ، نقد طرابيشي للازدواجية في فكر حسن حنفي ، العدد الثامن عشر، ج 2017 3 ، ص 7-8 .

[2] – جورج طرابيشي ، المثقفون العرب و التراث – التحليل النفسي لعصاب جماعي –، رياض الريس للكتب و النشر، ط 1 ، شباط / فيفري 1991م لندن ، ص .19

« نحن في حاجة الى اعطاء حركة التنوير العلماني لدينا دفعة جديدة " /" نرفض التغريب و العلمانية» [1]

أما فؤاد زكريا فكانت بداية دراسته النقدية للمشروع الحنفي بطرح تساؤل يوضح من خلاله استياءه مما حققه حنفي من تناقضات وازدواجية الرأي، نتيجة المغالاة في تعاكس الأفكار و تنافرها، و البعد عن التجانس المنهجي للأفكار كما أنه «سرعان ما يرد على نفسه بنفسه، كما اعتاد دائما، و سرعان ما يتناقض مع الرأي الذي رأيناه يتحمس له»[2] فما إن يتبنى موقفا معينا إلا و يفند و يدلي بعكس ما جاء به سابقا، هذا ما يشوش ذهن القارئ له و يغرقه في متاهات الدهشة و الاستغراب من اختلال الكم المعرفي و المنهجي.

3-**مواقفه من الدين:** كما عارضه محمد الطيب في قول حسن حنفي « فما نعانيه – الآن – من لامبالاة وسلبية و تواكل هو أثر الإيمان بالقضاء و القدر في التراث...، فذلك لأن العقل في التراث القديم و ما ورثناه من السلف كانت مهمته تبرير الدين.. وأن العقل لم يستقل على الإطلاق ولم يوجه نحو الواقع. »[3] فبقوله هذا يحط من قيمة الدين الإسلامي و العقيدة و يكشف عنه غطاء القداسة ليجعل منه المسبب الوحيد في التأزم و الرجعية الحضارية، فكانت أفكاره هذه – حسب محمد أحمد الطيب – مجرد رؤى شائعة و تفسيرات مغشوشة كانت بمثابة أمراض طفيلية التصقت بالتراث الاسلامي الحقيقي و حسبت عليه ظلما و عدوانا.)و يضيف «...تسقط التفسيرات المصنوعة لتبرير هذا السلوك الذي يرفضه الاسلام شكلا و موضوعا، ولا يفيدنا أيضا الدفاع التحليلي عن كل علم من علومنا التي عددها الأستاذ و هو يدين تراثنا العقلي والنقلي جملة وتفصيلا»[4] .

يشير أيضا أن حسن حنفي فتح باب الإلحاد على مصراعيه و تمادى في أفكاره و مواقفه التي تمس بقداسة ديننا الحنيف و تعاليه (مثلما ذكر السباعي سابقا) و بالغ في تطبيق التجديد على كل ما هو ثابت محاولا تغييره جذريا إلى ما يخدم الإنسان حسب اعتقاده. «وهذا كلام مرفوض جملة وتفصيلا، فالمؤمن – في التراث– هو من يؤمن بالله وملائكته و كتبه و رسله و

[1] – جورج طرابيشي ، ازدواجية العقل ، مرجع سابق ، ص22-24 .

[2] – المرجع نفسه ، ص 70 .

[3] – أحمد محمد الطيب، التراث والتجديد مناقشات و ردود، كلية الشريعة والقانون والدراسات الاسلامية، جامعة قطر ص151.

[4] – المرجع نفسه ، ص 154 .

اليوم الآخر و القضاء و القدر، و التجديد في هذا المفهوم " تدمير" مهما كانت اللافتات التي تخترع له أو يتم ذبحه تحت ظلالها و مقاييس الإيمان.. حددها القرآن والسنة الثابتة وانتهى أمرها»[1]

ينهي محمد الطيب جملة الانتقادات التي طرحها بعدة ملاحظات تعقيبا على القضية التي تبناها حنفي و الأسس التي قامت عليها أهمها : «ثمة فرق بين التجديد و بين التغيير الأول حفاظ على الأصول و اضافة اليها و نفض لما يتراكم عليها من غبار يحجبها عن الأنظار و الثاني هدم و بدء من جديد من فراغ يتم تحت أي مسمى الا مسمى التجديد »[2] ، «الأمر الذي يجعلنا نتساءل عن أهداف مثل هذه الدراسات، و هل هي حقيقة تجديد لتراث الأمة الاسلامية و بحث عن هويتها و تأكيد لذاتيتها أو هو استئصال لما تبقى من عناصر قوتها و حيويتها تأكيدا لاستمرار التبعية و استلاب الذات. »[3]

إذن تدور جل الملاحظات النقدية التي أبداها مختلف المفكرين و الباحثين و الدارسين لفكر حسن حنفي و رؤيته الفلسفية أن مشروعه هو«مشروع توفيقي تلويني ، و قراءته قراءة مغرضة. و أنه مجرد طلاء للبناء القديم لا إعادة بناء، و أن طموح التجديد عنده تحول الى مجرد تلوين. »[4] ، وهذا ما يؤكده علي حرب في وصفه لبعض المشاريع الحضارية لعدد من المفكرين من بينهم حسن حنفي أنها مشاريع فاشلة " بكونها تقفز فوق الوقائع و تطمس الحقائق،..

[1] – أحمد محمد الطيب، التراث والتجديد مناقشات و ردود مرجع سابق، ص 163 .

[2] – المرجع نفسه، ص 168–169 .

[3] – المرجع نفسه ، ص 169 .

[4] – مصطفى باجو ، العلمانيون العرب و موقفهم من الاسلام، المكتبة الاسلامية للنشر و التوزيع ، ط 1433 هـ – 2012 م ، القاهرة ، ص 364 .

لتقييم :

رغم كل الانتقادات الموجهة لحسن حنفي في بناء مشروعه الحضاري ، إلا أن هناك صنفا من المفكرين و الباحثين ينظر إليه نظرة الإعجاب و التميز، لأنه «مفكر إسلامي مجدد يستوعب تراثنا العربي الإسلامي استيعابا عميقا كما يستوعب التراث الفلسفي لعصرنا استيعابا عميقا كذلك. » [1]

«ليس من الشك أنه من أهم فلاسفة مصر و العالم العربي الان و على مدار نصف القرن الماضي ... الذي يعد مثالا قويا على أن الفلسفة لم تمت و لن تموت من العالم العربي» [2] فكان خير حامل للوائها في العالم العربي الإسلامي المعاصر، خاصة و قد اهتم اهتماما كبيرا بالوطن العربي و احتياجاته و ظروفه المزرية فقصد كل الطرق أملا في التغيير و الإصلاح و تحقيق النهضة .

هو المفكر الذي «تمتلئ نفسه بهموم وطنه المصري و أمته العربية ، و هموم العالم الإسلامي عامة. و هو يقدم عصير هذا كله في مشروعه الحضاري الذي يعمل على إنجازه منذ ما يقرب من ربع قرن» [3] فمن منظور مصطفى النشار أن مشروع حنفي الحضاري كان ناجحا و فعالا، و كان لمجهوداته و أبحاثه صدى على العالم العربي و حتى الغربي نتيجة إصراره على بلوغ الهدف «حيث نجح حنفي في الكشف عن معوقات الإبداع التي فرضها الفكر الغربي بصورة واضحة على الآخر (أي الأنا) » [4]

أبدى إعجابه بالشجاعة التي يتحلى بها حنفي في مواجهة الغرب و إخضاع ما حمل على أعتاقهم إلى النقد و التحليل و التفسير بشكل موضوعي ، «فهو الفيلسوف الموسوعي الذي تبحر في دراسة الفلسفة الغربية بتاريخها العريض بالقدر الذي تبحر فيه في دراسة كل جوانب التراث الإسلامي و في القلب منه التراث الفقهي و الكلامي و الفلسفي و الصوفي، و هو الذي عاش في ذات الوقت كل هموم و قضايا الوطن و أحس بنبض المواطن العربي و مشكلاته» [5]مجملا

[1] – محمود أمين العالم ، مواقف نقدية من التراث ، دار قضايا فكرية للنشر و التوزيع ، د ط ، القاهرة ص 11 .

[2] – مصطفى النشار، فلسفة حسن حنفي – مقاربة تحليلية نقدية نيو بوك للنشر و التوزيع ، 2017 ط 1 القاهرة ص 9 .

[3] – محمود أمين العالم ، مواقف نقدية من التراث، مرجع سابق ، ص 11.

[4] – مصطفى النشار ، فلسفة حسن حنفي ، مرجع سابق ، ص 54.

[5] – المرجع نفسه، ص 9 .

كان النشار من أبرز المعجبين و المشجعين لمشروعه، و اعتبره من أعظم الأعمال و «أجرأها في التركيب و الإبداع، وأكثرها نزوعا نحو الالتحام بالواقع حرصا على مخاطبة مستوياته المختلفة و شتى توجهاته. و أنجحها في استقطاب اهتمام دوائر بحثية عديدة في الشرق و الغرب... و أيضا أكثرها طموحا و جموحا و أدعاها للمعالجة التحليلية و النقدية. » [1]

أهم النجاحات التي حققها : اهتمامه بالذات الإنسانية «إذ يتحول علم الكلام لديه من دراسة الإلهيات إلى دراسة الإنسانيات ، ليصبح الإنسان محور دراسات علم الكلام و موضوعاته لا الله . » [2]و هذه أكبر خدمة قدمها للبشرية بتخليصها من السلطة الإلاهية و الأحكام الجامدة التي لا تتغير رغم التغيرات التي يشهدها العالم بين الثانية و الأخرى – حسبه – . إذن النقطة الفعالة في مشروعه هي الانتقال من علم الكلام إلى علم الإنسان و القفز من العقيدة إلى الثورة، فبفضل هذا التغيير «يتم التحرر من السلطة بكل أنواعها: سلطة الماضي و سلطة الموروث فلا سلطان إلا للعقل ... ، و بهذا يمكن تحرير وجداننا المعاصر من الخوف و الرهبة و الطاعة للسلطة.. » [3]

يتضح ذلك جليا من خلال جودة إنتاجه فهو بمثابة كنز من المعارف و الأفكار المستجدة التي يعالج بها مختلف المواضيع و الإشكاليات المطروحة في العالم عامة ، و التي تشغل بال المواطن العربي بصفة خاصة، و مازال سيله ينزف بالكتب و المقالات و المحاضرات حتى اليوم رغم كبر سنه، لا يمكن أن يختلف أحد مع د. حنفي فلا يختلف اثنان على «تحرير الأرض و على ضرورة تحقيق التنمية الشاملة و إحياء الحيوية الاجتماعية و الفردية و وحدة الأمة في مواجهة الأعداء. كما لا يختلف اثنان في أن من أسباب تحقيق هذه المطالب إنماء الواقعية و العقلانية و نقض الخرافات...» [4] تميز مشروعه بالموضوعية و الشمول، عالج من خلاله أوضاع الأمة خاصة في جانبها الثقافي الفكري ، فأبرز نقاط القوة و الضعف.. لتقف الأمة العربية على أقدامها و تتعافى من كل الأوبئة الحضارية التي تنهش و تهشم جسدها.

---

[1] – مصطفى النشار ، فلسفة حسن حنفي ، مرجع سابق ، ص 75.

[2] – أحمد محمد جاد عبد الرزاق ، فلسفة المشروع الحضاري – بين الاحياء الاسلامي و التحديث الغربي –المعهد العالمي للفكر الاسلامي1416 هـ – 1995 م ، فيرجينيا الولايات المتحدة الأمريكية ، ص 697 ، هيرندن ، ط 1.

[3] – المرجع نفسه ، ص 699.

[4] – عزيز العظمة، التراث بين السلطان و التاريخ، عيون المقالات ، ط1، 1987 ، الدار البيضاء ، ص 164 .

فالدافع الأكبر ليصبح «مشروعه متميزا هو كتاباته و أبحاثه و مواقفه المتميزة بالوجاهة و الجرأة على الرغم من الانتقادات التي تتعرض لها فما تزيدها إلا قوة و مناعة، مقالات كانت أو كتب أو حوارات أو غيرها تعالج مختلف القضايا في الفكر و الثقافة و السياسة و الحضارة تعكس معالم مشروعه الحضاري و بيانه،..» [1]

رد حسن حنفي على كل من يدعي إلحاده و محاربته للدين الإسلامي بالأسلحة التي وظفها في مشروعه الحضاري بقوله : «و الحمد لله لسنا كذلك لأننا نطبق نفس المقياس : العقل و التجربة و نؤمن. فالله منزه ، ليس كمثله شيء ، و كتابنا صحيح ، و ليس لدينا رجال دين ، و ايماننا قائم على التصديق ، و عبادتنا تنهى عن الفحشاء و المنكر. » [2]و يبين أن مشروعه قائم على التغيير الايديولوجي في الفكر و الثقافة ، و الانخراط في طلب العلم و اكتسابه و السعي إلى تطبيقه في بلادنا. كما حاول تفعيل الشروط الأساسية الفعلية في عملية النهوض من النكسة التي شهدها العالم العربي الإسلامي في العصر المعاصر، لكن كل ما دفعه لمثل هذه الاختيارات الجديدة التي بنى عليها مشروع التجديد لم تكن سببا لضرب الدين الإسلامي، أو طمس عقائده أو محاولة منه لتعمية الرؤية العربية للإسلام، بل تعددت أسباب ذلك نظرا للظروف التي يشهدها العالم ، و مقارنة لما وصل إليه الفكر الغربي من تطورات و تقلبات مستجدة ، خلاف ما يكابده الفكر العربي الإسلامي من تخلف و انغلاق عن العالم. لذا كان مشروعه سبيلا لاستعادة التقدم الحضاري ، و تحقيق النهضة الفكرية و الثقافية. ليصبح العقل العربي مماثلا لنظيره الغربي في الفطنة و الذكاء، فلم يكن الدافع الفعلي تشويه الدين الإسلامي الحنيف، «فنحن لسنا ملحدين و لا منافقين بل نحن مؤمنون» [3]

[1] – مجموعة من الأكاديميين العرب ، الفلسفة العربية المعاصرة – تحولات الخطاب من الجمود التاريخي الى مآزق الثقافة و الايديولوجيا– ،الرابطة العربية الأكاديمية للفلسفة ، ط 1 ، 1435 هـ – 2014 م ، الرباط ، ص 263 .

[2] – حسن حنفي، الدين و الثورة في مصر 1981، ج 7 : اليمين و اليسار في الفكر الديني ، دار النمر للطباعة و النشر ، د ط ، 1989 القاهرة ، ص 212 .

[3] – حسن حنفي ، الدين و الثورة في مصر، مصدر سابق ص 212 .

خلاصة الفصل:

ومجمل القول أن حسن حنفي أخذ حيزا كبيرا من اهتمام الباحثين و المثقفين، بل و أضحى محورا من محاور الثقافة السائدة، كما أنه أعلى من شأن التراث العربي الإسلامي و أرسى معالمه. وعمل جاهدا على تطويره وتطوير العقل العربي، فانطلق من مبدأ المحافظة على التراث القديم والاعتزاز به وإعادة بنائه من جديد بعد إخضاعه للفحص الدقيق والتمحيص المستمر، للكشف عن الشوائب التي تعكر صفوه وكل ما تعذر التخلص منه، فكلما كان الأساس صحيحا و متينا كان البناء مميزا و النتائج مرضية و مضمونة. وإضافة ما يلزم من تعديلات وإصلاحات حديثة للحاق بالركب الحضاري والتملص من الأزمة التي يتخبط فيها العالم العربي الإسلامي. لذلك يعتبر مشروعه ناجحا ومغايرا لما سبق، رغم ما تعرض له من انتقادات، و رغم الأخطاء التي لامست مشروعه الحضاري فاصطدم بها، كما نجده يعترف بوقوعه في عدة أخطاء، و يوجه نقدا لنفسه أو ما سماه (النقد الذاتي)، الذي يكشف من خلاله عن عيوب مشروعه، وهي أهم النقاط التي يكتمل بها. فلا نجاح له دون النقد والإقرار بالإخفاق في سد بعض جوانبه لتتضح الصورة، " فالنقد ضروري للثقافة... النقد هو القادر على إثبات نسبية المعرفة، وتعدد الرؤى. «فالحقيقة منظور لا يستبعد أحدها الآخر. بل يتفاعل بعضها مع البعض من أجل رؤية الموضوع من كل الجوانب» [1] ليكون دافعا إيجابيا للوصول إلى ما يصبو له.

[1] – حسن حنفي ، من النقد الأدبي الى النقد الثقافي ، فصول. العدد 80 ، شتاء 2012 ، ص 30 .

خاتمة

هكذا اذن احتل حسن حنفي مكانة في الإعلاء من شأن الفكر والوعي العربي من خلال مشروعه التجديدي إلى إعادة بناء التراث بوصفه وسيلة لتطوير الواقع ذاته ولحل مشاكله وتقدم للفرد والمجتمع في جميع نواحي الحياة بغية تحقيق الاصلاح والنهضة الشاملة التي تحلم بها الأمة العربية والاسلامية وذلك لا يكون إلا إذا تم التنازل عن الأنا النرجسية، والخروج من قوقعة الذاتية والخصوصية والنظرة الأحادية والمصلحة، والتخلص من عقلية إما تطبيق الكل أو معظمه أو لا، دون اكتراث لوجود الآخرين وفكرهم.

إننا لسنا ضد العلم الغربي وفكره إن كان إنسانياً وأخلاقياً فهو ملك البشرية جمعاء، ولكننا ضد الغرب المنفعي/ البراغماتي لأنه لا يحمل قيم الإنسان، وقد انقلب باتجاه الاستعمار المتوحش والاستغلال الظالم والنهب والانحطاط اللاأخلاقي وهو محكوم عليه بالسقوط.

إن مواجهة الغرب تعني أن يتحرر العرب من التبعية للغرب، وألا يكونوا رهائن تقنياته وعالة عليه يتحكم في مصيرهم. فالغرب المتطور علمياً وتكنولوجياً هو نفسه الذي يقهر العرب ويسلب إرادتهم ويريدهم عبيداً في آلية اقتصاده. وما يقدمه للأنظمة العربية التابعة هدفه أن تمارس تلك الأنظمة دورها في حماية مصالحه وتدجين شعبها وتوظيفه في تلك الآلية!

الغرب لا يقدم للعرب أي شيء مجاناً لأنه ليس بجمعية خيرية، والبرجماتية فلسفته ولا استثناء، وما زالت تسيطر عليه العقلية المتعالية والمتغطرسة ونظرة السيد إلى العبد!

لذلك على العربي الحر أن يسعى جاهداً إلى إيجاد مكان له تحت أشعة الشمس بحرية وكرامة، يفرض احترام العالم له في عصر التكتلات الكبرى التي لا تحترم إلا القوي، وهذا يتطلب منه العمل بإخلاص وصدق وأمانة لتحقيق بناء دولة الأمة العربية، دولة المواطنين في ظل نظام سياسي ديموقراطي تعددي يسوده القانون، وبناء القاعدة الاقتصادية القوية، وبناء الجيش الحديث القادر على حماية الوطن وأبنائه وقيمه الإنسانية، والتحرر من الاستعمار والتبعية؛ التحرر الفكري والسياسي والاجتماعي والاقتصادي لنعود ونقول كما يقول حسن حنفي " **لكني فقط أدعو إلى إبداع الأنا في مقابل تقليد الآخر وامكانية تحويل الآخر إلى موضوع للعلم بدلا من أن يكون مصدرا للعلم** "[1]

[1] – حسن حنفي : مقدمة في علم الاستغراب ،مصدر سابق، ص 5

قائمة المصادر

والمراجع

القرآن الكريم

المصادر والمراجع

- المصادر

أ. بالعربية

- حسن حنفي، المشروع الحضاري الجديد ضمن المشروع الحضاري العربي، مجلة الوحدة، السنة العاشرة، العدد 105، مارس1994م، المجلس القومي للثقافة العربية.
- حسن حنفي، اليسار الإسلامي والوحدة الوطنية ، مكتبة مدبولي، القاهرة ،1988 م .
- حسن حنفي، مقدمة في علم الاستغراب ، الدار الفنية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، (د، ط)، 1991 .
- حسن حنفي، من النص الى الواقع ج – 1 (تكوين النص)، مركز الكتاب للنشر ، ط 1، 2004 م، القاهرة .
- حسن حنفي، من النقد الأدبي الى النقد الثقافي ، فصول. العدد 80 ، شتاء 2012 .
- حسن حنفي، من النقل الى الابداع ج 1 ، دار قباء للنشر و التوزيع ، د ط ، 2000 م ، القاهرة
- حسن حنفي، التراث و التجديد، ،موقفنا من التراث القديم ،المؤسسة الجامعية لدراسات النشر و التوزيع ،لبنان ط4 ،سنة1992 م.
- حسن حنفي، الدين و الثورة في مصر 1981، ج 7 : اليمين و اليسار في الفكر الديني ، دار النمر للطباعة و النشر ، د ط ، 1989 م القاهرة.
- حسن حنفي، الدين والثقافة والسياسة بالوطن العربي، (القاهرة: المكتب المصري ،2009م).
- حسن حنفي، جدل الأنا والآخر دراسة في " تخليص الإبريز " للطهطاوي، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، 2008م .
- حسن حنفي، حصار الزمن الحاضر (إشكالات)، مركز الكتاب للنشر، مصر ،ط 1 2004م.
- حسن حنفي، قضايا معاصرة في فكرنا المعاصر، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت لبنان،ط2 ،1983.
- حسن حنفي، ماذا يعني علم الاستغراب، دار الهادي للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2000م.
- حسن حنفي، مقدمة في علم الاستغراب، الدار الفنية للنشر و التوزيع، د ط، 1411 هـ 1991م القاهرة.
- حسن حنفي، من العقيدة إلى الثورة –المقدمات النظرية– ،ج1، ط1، (لبنان: دار التنوير للطباعة و النشر)، 1988م.
- حسن حنفي، من الفناء الى البقاء محاولة لإعادة بناء علوم التصوف، ج1 ، دار المدار الاسلامي ، ط 1، 2009 م، بيروت .
- حسن حنفي، موسوعة الحضارة العربية الاسلامية المجلد 2 ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، ط 1 ، 1986م ، بيروت .

ب. بالفرنسية

- Hassan Hanafi , L'islam et la modernité , Islam et Progrès , Universitat oberta de catalunya , Septembre 2010 .
- Hassan Hanafi, les mouvement religieuse contemporain (Madblouli, le Caire, 1988,).

- المراجع

أ) بالعربية

- أحمد عبد الحليم عطية، جدل الأنا والآخر، قراءات نقدية في فكر حسن حنفي في عيد ميلاده الستين، مكتبة مدبولي الصعيد ، دار عبدربه للطباعة الحومدية، ط1، 1997م.
- أحمد محمد الطيب، التراث والتجديد مناقشات و ردود، كلية الشريعة والقانون والدراسات الاسلامية، جامعة قطر. (د ط) ،(د ت).
- أحمد محمد جاد عبد الرزاق ، فلسفة المشروع الحضاري – بين الاحياء الاسلامي و التحديث الغربي – المعهد العالمي للفكر الاسلامي1416 هـ 1995 م، فيرجينيا الولايات المتحدة الأمريكية . هيرندن، ط 1.
- إدريس هاني ، ما وراء المفاهيم من شواغل الفكر العربي المعاصر،ط1، بيروت، مؤسسة الانتشار العربي،2009م .
- أسماء بلاغماس، شفيعة حداد، تأثير العولمة في بعدها الثقافي الهوياتي على الهوية الثقافية الوطنية، المجلد 4، العدد 2 ، 15 – 06 – 2019 ، باتنة الجزائر .
- جورج طرابيشي ، ازدواجية العقل، دراسة تحليلية نفسية لكتابات حسن حنفي، دار بترا للنشر والتوزيع، سوريا، دمشق، ط 1، 2005م .
- جورج طرابيشي ، المثقفون العرب و التراث – التحليل النفسي لعصاب جماعي –، رياض الريس للكتب و النشر، ط 1 ، شباط / فيفري 1991م لندن.
- جورج طرابيشي ، المرض بالغرب –ج 2 – ازدواجية العقل (دراسة تحليلية نقدية لكتابات حسن حنفي ، دار ورد للنشر و التوزيع ، ط 1 2005 ، سوريا دمشق .
- زينب موسى مفتاح ، نقد طرابيشي للازدواجية في فكر حسن حنفي ، العدد الثامن عشر، ج 3، 2017م .
- شاكير أحمد المحمودي، مناهج الفكر العربي المعاصر – في دراسة قضايا العقيدة و التراث – مركز التأصيل للدراسات و البحوث ، ط – 1431 هـ 2010 م ، المملكة العربية السعودية جدة ،
- الشريف طوطاو ، هيرمونطيقا النص القرآني في منظور اليسار الإسلامي (حسن حنفي أنموذجا) ، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث ، 2015 م

- الطاهر لبيب، صورة الآخر العربي ناظرا أو منظر إليه، مركز الدراسات الوحدة العربي، ط1، بيروت ، 1999م .
- عبد الله سيفٌ، ثقافة الاستغراب في الفكر العربي المعاصر، مجلة جامعة تشر ينٌ للبحوث والدراسات العلميةٌ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانيةٌ مج 36 العدد 5، 2014 م
- عزيز العظمة ، التراث بين السلطان و التاريخ ، عيون المقالات ، ط1، 1987 ، الدار البيضاء ،
- علي زيعور التحليل النفسي للذات العربية "أنماطها السلوكية والأسطورية" – دار الطليعة – الطبعة الأولى، أيار 1977 – بيروت.
- فهد بن محمد السرحاني القرشي ، منهجية حسن حنفي ، بيروت: دار ابن الجوزي, د ط،2001 ، ص 396 .
- مجموعة من الأكاديميين العرب ، الفلسفة العربية المعاصرة – تحولات الخطاب من الجمود التاريخي الى مآزق الثقافة و الايديولوجيا– ،الرابطة العربية الأكاديمية للفلسفة ، ط 1 ، 1435 هـ – 2014 م ، الرباط ،
- محمد أركون، من الاجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي ،تر هاشم صالح ، دار الساقي ، بيروت، ط1 ، 1991م .
- محمد أركون، الإسلام والأخلاق والسياسة، تر هاشم صالح، مركز الإنماء القومي، بيروت ،ط 1، 1990.
- محمد أركون، الفكر الإسلامي، قراءة علمية، تر هاشم صالح، مركز الإنماء القومي، بيروت ط 2 ،سنة 1996م.
- – محمد الشيخ . محمد عابد الجابري . مسارات مفكر عربي، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت لبنان ط1 ،2011م.
- محمد عابد الجابري (التراث ومشكل المنهج)، المنهجية في الأدب والعلوم الإنسانية، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، الطبعة الأولى سنة 1986،
- محمد عابد الجابري ،نحن والتراث – قراءات معاصرة في تراثنا الفلسفي ، المركز الثقافي العربي ط 6 ، 1993 بيروت لبنان
- محمود أمين العالم ، مواقف نقدية من التراث ، دار قضايا فكرية للنشر و التوزيع ، د ط ، القاهرة
- مصطفى النشار، فلسفة حسن حنفي – مقاربة تحليلية نقدية نيو بوك للنشر و التوزيع ، 2017 ط 1 القاهرة
- مصطفى باجو، العلمانيون العرب و موقفهم من الاسلام، المكتبة الاسلامية للنشر و التوزيع ، ط 1433 هـ – 2012 م ، القاهرة ،

- ممدوح بريكٌ الجازي، مجلة مركز دراسات الوحدة العربيةٌ منطلقات النظريةٌ الأساسيةٌ لمفهوم الاستغراب في فكر حسن حنفي centre For arabumit .
- ناهض حتر التزارث، الغرب، الثورة، بحث حول الأصالة والمعاصرة في فكر حسن حنفي، شقير وعكاشة للطباعة والنشر، عمان الأردن – د ط،
- النملة علي بن ابراهيم الحمد ، الشرق والغرب منطلقات العلاقات ومحدداتها ، بيسان للنشر والتوزيع ، بيروت ، ط3 ، 2010م ،

ب) بالفرنسية

- Ahmed abdel halim atteya , la philosophie et la révolution en egypte , dogma (revue de philosophie et de sciences humaines , faculté des lettres – université du caire traduit de L'arabe pour mouna saraya) , octobre 2013 ,

المعاجم والموسوعات

- ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، المجلد العاشر، دار صادر ، بيروت، د،س

- المجلات

- هيثم الجنابي، الفكرة الحضارية عند حسن حنفي 02 فلسفة الاستغراب رد حضاري أم تأويل لاهوتي ، صحيفة المثقف، العدد 5104 ، 2020 م
- بوبكر جيلالي، التراث والتجديد، بين قيم الماضي ورهانات الحاضر، قراءة في فلسفة حسن حنفي، وفي مشروعه الحضاري، المجلة الثقافية الجزائرية.2011 م .
- بوبكر جيلالي ، تجديد أصول الفقه في مشروع حسن حنفي (الامتداد و المكانة) ، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية و لانسانية ، العدد 15 ،كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية، جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف، جانفي– 2016 م،
- علي الربيعي ، حسن حنفي و تجديد التراث ، الوسيط) يومية سياسية مستقلة (العدد 314 ، الأربعاء 16 يوليو 2003 م – 16 جمادى الأولى 1424 هـ

خامسا:المواقع إللكترونية

- http://www.arabphilosophers.com/Arabic/aphilosophers/acontemporary/acontemporary-names/Hassan_hanafi/Hassan_Hanafi.htm
- http://www.arabphilosophers.com/Arabic/aphilosophers/acontemporary/acontemporary-names/Muhammad_Arakoun/Arabic_Article_Arkoun/Arabic_Article_Arkoun.htm
- https://ibn-rushd.org/wp/ar/2008/12/10/award-2008-cv-mohammed-abed-al-jabri/

الملاحق

المفكر حسن حنفي:

ولد المفكر الكبير حسن حنفى فى 23 فبراير 1935 م بالقاهرة، وحصل على ليسانس الآداب بقسمِ الفلسفةِ عام 1956، حاز على درجة الدكتوراه فى الفلسفة من جامعة السوربون وذلك برسالتين للدكتوراه، كانت بداية حياته العلمية فى التدريس فى عدد من الجامعات العربية، حيث عمل مدرس فلسفة – كلية الآداب – جامعة القاهرة فى الفترة من 1967 – 1973، وأستاذ زائر بجامعة تمبل بفيلادلفيا فى الفترة من 1971 – 1975، وأستاذ زائر بجامعة طوكيو، اليابان فى الفترة من 1984 – 1985م، وعمل مستشارا علميا فى جامعة الأمم المتحدة بطوكيو خلال الفترة من (1985–1987)، وكان نائب رئيس الجمعية الفلسفية العربية، والسكرتير العام للجمعية الفلسفية المصرية، إلى جانب رئاسة قسم الفلسفة – كلية الآداب – جامعة القاهرة فى الفترة من 1988–1994، وأستاذ متفرغ كلية الآداب – جامعة القاهرة، 1995 وحتى رحيله. عمل حسن حنفي في جامعات عربية وأجنبية كثيرة، ويعد أحد أهم مؤسسي الجمعية الفلسفية المصرية منذ نهاية حقبة الثمانينيات. كما حصل على عدةِ جوائزَ في مِصرَ وخارِجَها، مثل: جائزة الدولة التقديرية في العلومِ الاجتماعية 2009، وجائزة النيل فرعِ العلومِ الاجتماعيةِ 2015، وجائزة المفكر الحر من بولندا. ومن أشهر تلامذته المفكر الراحل د. نصر حامد أبو زيد (1943–2010)، وعلي مبروك الأستاذ المساعد بقسم الفلسفة، بكلية الآداب، جامعة القاهرة(1960– 2016). وكريم الصياد الأستاذ المساعد بقسم الفلسفة، بكلية الآداب، جامعة القاهرة(1981–؟)

مؤلفاته ومشروعه الفكري: بدأ حسن حنفي بترجمة مؤلفات مهمة وفارقة في الفكر الإنساني، منها: رسالة في اللاهوت والسياسة" لباروخ سبينوزا و"تربية الجنس البشري" لإفرايم ليسينغ. مؤسساً بذلك محاولة التمهيد العلمي لمراجعة ونقد التراث، بهدف تجاوزه لمرحلة عقلانية من التفكير، لكن هذه البداية المُبشرة أصبحت تأتي ضمن أفكار ومقولات أصولية، حاول صاحبها أن تتسم بالوطنية والتحرر، فيذكر مثلاً في إحدى مقالاته "ولا يزال أمام المسلمين مجال للفتوح والانتشار في الأرض، وإن تاريخ الأمة منذ الفتح العثماني حتى اليوم هو تاريخ فتوح وانتصارات".

يتكوّن مشروع حسن حنفي الفكري، الذي حمل عنوان "التراث والتجديد" – وهو عنوان كتابه الأوّل الصادر عام 1980– من ثلاثة مباحث أساسية هي: إعادة بناء التراث القديم الموقف من التراث الغربي الموقف من الواقع (نظرية التفسير) ضمن المبحث الأوّل، صدر له: "من العقيدة إلى الثورة" (1988) في خمسة أجزاء "من النقل إلى الإبداع" في تسعة أجزاء (200 – 2002) "من النص إلى الواقع" في جزأين (2003 – 2004) "من الفناء إلى البقاء" (2008) "من النقل إلى العقل" في ثلاثة أجزاء" (2009 – 2010). وصدر له ضمن المبحث الثاني: "ظاهريات التأويل: محاولة لتفسير وجودي للعهد الجديد" وهو موضوع رسالته للدكتوراه عام 1965، وقد ترجمه إلى العربية وصدر عام 2006. "تأويل الظاهريات: الحالة الراهنة للمنهج الظاهرياتي وتطبيقه في الظاهرة الدينية"، وهو موضوع رسالته الثانية عام 1966، وقد صدر عام 2006 بترجمته أيضاً، إضافةً إلى: "مقدّمة في علم الاستغراب" (1991)، و"فيشتة فيلسوف المقاومة" (2003)، و"برغسون فيلسوف الحياة" 2008. ومن كتبه ضمن المبحث الثالث: "من مانهاتن إلى بغداد" (2004) "جذور التسلُّط وآفاق الحرية" (2005) "وطن بلا صاحب" (2008) "نظرية الدوائر الثلاث، مصر والعرب والعالم" (2008) "الواقع العربي الراهن" (2011). كما أصدر الراحل العشرات من الكتب الأُخرى في فكر النهضة، والنقد والتحقيق، وحوار المشرق والمغرب، والترجمة، إضافةً إلى كُتب ألّفها باللغتين الفرنسية والإنكليزية. وفي 2018، صدر له كتاب سيرة بعنوان "ذكرياتي (1935 – 2018)". وللدكتور حسن حنفي أقوال بارزة تعبر عن فكره مثل "العلمانية روح الإسلام"، و"التراث ابن عصره"، و"التجديد ينشأ من الثقافة الشعبية للناس"، وفي مقابلات صحافية له أكد على أن مشروع التراث والتجديد يقاوم آفات العرب الثلاث: التقليد للقدماء والتبعية للغرب والعزلة عن الواقع. "الهوية" بين الفلسفة والدين في كتابه "الهوية"، الذي صدر عام 2012.[1]

1–site Web:

http://www.arabphilosophers.com/Arabic/aphilosophers/acontemporary/acontemporary-names/Hassan_hanafi/Hassan_Hanafi.htm

المفكر محمد أركون

ولد محمد أركون سنة1928 ،بولاية تيزي وزو ،ونشأ في عائلة فقيرة، بدأ تعليمه الابتدائي بمسقط رأسه ،والتحق بوالده وأكمل دراسته الثانوية بمدينة وهران يشرف عليها الآباء البيض(نخبة من المعلمين ذوي النزعة التبشيرية) ما بين 1941-1945،تعرف على الثقافة والأدب اللاتينيين، وتعرف على القيم المسيحية وآباء الكنيسة الأفريقية تورتوليان وسوبريانوس وأوغسطينوس. ثم التحق بكلية الآدب في جامعة الجزائر ما بين (1950-1954) ،ولم يكتف بدراسة الأدب بل انخرط أيضا في دراسة الفلسفة والقانون والجغرافيا ،وفي منتصف الخمسينيات التحق بجامعة السوربون بتوصية من المستشرق لويس ماسينيون ،وفيها حصل على شهادة الدكتوراه في الفلسفة سنة 1969.توفي يوم الثلاثاء 14 سبتمبر 2010، ودفن في العاصمة المغربية الرباط .

المهام التي تولاها: عمل أستاذا في العديد من الجامعات العالمية كجامعة السوربون تخصص التاريخ الإسلامي (1961-1969)، وجامعة كاليفورنيا (1969)، وجامعة ليون (1970-1972)، وجامعة نيويورك (2001-2003).

أستاذ زائر وعضو في مجلس إدارة معاهد الدراسات الإسلامية في لندن منذ 1993.

المدير العلمي لمجلة Arabica منذ سنة 1980.

عضو لجنة العلْمَنة في فرنسا لسنة 2003.

أهم مؤلفاته :الفكر العربي ./ الفكر الإسلامي : قراءة علمية. /الفكر الإسلامي، نقد واجتهاد./الإسلام، أوروبا، الغرب.الفكر الأصولي واستحالة التأصيل./نزعة الأنْسَنَة في الفكر العربي./من الاجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي /معارك من أجل الأنسنة في السياقات الإسلامية./قضايا في نقد العقل الديني./ الإسلام، أصالة وممارسة/ العلمنة والدين. [1]

1-site Web:

http://www.arabphilosophers.com/Arabic/aphilosophers/acontemporary/acontemporary-names/Muhammad_Arakoun/Arabic_Article_Arkoun/Arabic_Article_Arkoun.htm

ثالثا: المفكر محمد عابد الجابري

هو مفكر وفيلسوف ولد في مدينة فجيج بالمغرب في 27 ديسمبر 1935، حصل على دبلوم الدراسات العليا في الفلسفة. كلية الآداب. جامعة محمد الخامس. الرباط 1967، وحصل على دكتوراة الدولة في الفلسفة. كلية الآداب. جامعة محمد الخامس. الرباط 1970. عمل أستاذ الفلسفة والفكر الإسلامي بكلية الآداب، جامعة محمد الخامس الرباط منذ 1967 ، حصل على العديد من الجوائز منها جائزة بغداد للثقافة العربية التي تمنحها اليونسكو في يونيو 1988، والجائزة المغاربية للثقافة. تونس مايو 1999، وجائزة الدراسات الفكرية في العالم العربي– مؤسسة MBI تحت رعاية اليونسكو في 14–11–2005، وجائزة الرواد– مؤسسة الفكر العربي. بيروت في 07–12–2005، وميدالية ابن سينا من اليونسكو في حفل تكريم شاركت فيه الحكومة المغربية بمناسبة اليوم العالمي للفلسفة 16– 11– 2006، وجائزة ابن رشد للفكر الحر في أكتوبر 2008. بالإضافة إلى اعتذاره عن العديد من الجوائز. توفى في يوم الاثنين 03 مايو 2010م في الدار البيضاء بعد معاناة طويلة مع المرض.

وفيما يلي قائمة ببليوجرافية مختارة بمؤلفاته التي كتبها أو التي كتبت عنه والتي من بينها:

مدخل إلى فلسفة العلوم: دراسات ونصوص في الإيبستمولوجيا المعاصرة. /حوار المشرق والمغرب: نحو إعادة بناء الفكر القومي العربي/ فكر ابن خلدون: العصبية والدولة: معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي / المسألة الثقافية في الوطن العربي /المشروع النهضوي العربي: مراجعة نقدية / التنمية البشرية والخصوصية السوسيوثقافية: العالم العربي.حفريات في الذاكرة / المدخل والمقدمة التحليلية لكتاب الضروري في السياسة: ابن رشد: سيرة وفكر، دراسة ونصوص/ الخطاب العربي المعاصر: دراسة تحليلية نقدية ./ العقل الأخلاقي العربي: دراسة تحليلية لنظم القيم في الثقافة العربية / تكوين العقل العربي / سلسلة "مواقف: إضاءات وشبهات/ بنية العقل العربي: دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية. [1]

1–site Web: https://ibn-rushd.org/wp/ar/2008/12/10/award-2008-cv-mohammed-abed-al-jabri/

مفهوم الاستغراب :

يرى علي بن إبراهيم النملة في كتابه الشرق والغرب "أن الاستغراب محدد أخر من محددات العلاقة بين الشرق والغرب." [1]، إذ لا يمكن الحديث عن الاستشراق دون الحديث عن الاستغراب ، فإذا كانت كلمة الاستشراق مأخوذة من "الشرق " وتعني مشرق الشمس فإن "كلمة الاستغراب مأخوذة من كلمة غرب وكلمة غرب تعني أصلا مغرب الشمس ، وبناء على هذا يكون الاستغراب هو علم الغرب ." [2] فقد انتهج العديد من الباحثين في ضبطهم لمفهوم الاستغراب مسلك المقابلة مع الاستشراق . فنجد المفكر المصري حسن حنفي يعرف الاستغراب قائلا : " الاستغراب هو الوجه الأخر والمقابل والنقيض من الاستشراق فإذا كان الاستشراق هو رؤية الأنا (الشرق) ، من خلال(الغرب) فإن علم الاستغراب إذن يهدف إلى فك العقدة التاريخية المزدوجة بين الأنا والأخر والجدل بين مركب النقص عند الأنا ومركب العظمة عند الأخر." [3]

ينتمي مصطلح "الاستغراب" إلى فئة الكلمات التي تُستعمل في العلوم الإنسانية ولا تعني بالضبط معناها اللغوي، وإنما هو مصطلح متولد من تفاعل وتطور تاريخي ثقافي وحضاري،

كلمة "الاستغراب" تستعمل بمعناها اللغوي المباشر حتى الربع الأول من القرن العشرين، وهو المعنى الذي يدور حول الدهشة والحيرة من غرابة شيء ما، وأصل الغرب في اللغة البُعْد، ومنه جاء معنى المبالغة حين يُقال أغرب في الضحك أو استغرب ضاحكًا أي بالغ فيه ثم زاد إلى دلالتها معنى جديد، وهو التعبير عن الافتتان بالغرب وحضارته ومتابعة الغربيين في أنماط النظر والفكر والتصورات

ثم أضيف لكلمة "الاستغراب" معنى آخر بكتابات حسن حنفي في الثمانينات، وهي الكتابات التي تُوِّجت بمؤلفه "مقدمة في علم الاستغراب" وهو معنى نقيض "الاستشراق" ويهدف إلى دراسة الغرب برؤية شرقية.

---

[1] _ النملة علي بن ابراهيم الحمد ، الشـرق والغرب منطلقات العلاقات ومحدداتها ، بيسـان للنشـر والتوزيع ، بيروت ، ط3 ، 2010 ، ص189 .

[2] _سمايلوفتش أحمد ، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر د.ط

[3] _ حنفي حسن ، مقدمة في علم الاستغراب ، الدار الفنية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، (د،ط) ، 1991 ، ص29 .

جامعة ابن خلدون – تيارت

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم علم النفس و الأرطفونيا و الفلسفة

تصريح شرفي

خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لانجاز بحث

(ملحق القرار الوزاري رقم 1082 المؤرخ في 2020/12/27 المتعلق بالوقاية ومحاربة السرقة العلمية)

أنا الممضي أدناه،

الطالب (ة) ..بن دلة عبد القادر...

الحامل لبطاقة التعريف الوطنية رقم 200758951 والصادرة بتاريخ : 2016/12/01

المسجل(ة) بكلية : العلوم الانسانية والاجتماعية قسم : علم النفس و الأرطفونيا و الفلسفة

و المكلف بإنجاز أعمال بحث مذكرة التخرج ماستر عنوانها :

.....مفهوم الاستغراب عند حسن حنفي.....

.....

شعبة: العلوم الاجتماعية فلسفة ..... تخصص: فلسفة عربية وإسلامية

أصرح بشرفي أني ألتزم بمراعاة المعايير العلمية والمنهجية ومعايير الأخلاقيات المهنية النزاهة الأكاديمية المطلوبة في إنجاز البحث المذكور أعلاه.

قواري يحي
عون الإدارة الإقليمية

التاريخ ..30 ماي 2023.....

إمضاء المعني

هذه المصادقة لا تستهدف إثبات شرعية أو صحة هذه الوثيق وإنما تثبت فقط هوية الموقع و صحة إمضائه

تصادق على صحة التصديق على إمضاء
السيد(ة) : بن دلة عبد القادر
المودعة في: 30 ماي 2023
رئيس المجلس الشعبي البلدي

ولاية تيارت
ملحق رئيس للإدارة الإقليمية

فهرس

الموضوعات

فهرس الموضوعات

الإهداء

شكر وعرفان

مقدمة أ-هـ

الفصل الأول: مشروع علم الاستغراب (مراحله وأسسه)

المبحث الأول : مرتكزات المشروع (الجبهات الثلاث)..... 8

-1الجبهة الأولى: موقفنا من التراث القديم..... 9

القسم الأول : من العقيدة الى الثورة..... 9

القسم الثاني: من النقل الى الابداع..... 10

القسم الثالث : من النص إلى الواقع 10

القسم الرابع : من الفناء الى البقاء 11

القسم الخامس: من النقل الى العقل..... 11

القسم السادس : العقل والطبيعة..... 12

القسم السابع: العلوم الإنسانية..... 12

القسم الثامن :الإنسان والتاريخ..... 12

الجبهة الثانية: موقفنا من التراث الغربي..... 12

القسم الأول: مصادر الوعي الأوروبي..... 13

القسم الثاني :بداية الوعي الأوروبي..... 14

القسم الثالث: نهاية الوعي الأوربي..... 15

الجبهة الثالثة: موقفنا من الواقع 16

القسم الأول: المنهاج..... 16

القسم الثاني: العهد الجديد 17

القسم الثالث: العهد القديم..... 17

المبحث الثاني: علاقة الآنا بالأخر والوعي بمسالة تحقيق أمن فكري..... 18

1- مفهوما الأنا والأخر..... 19

2- العلاقة بينهما..... 20

3- مسار الأنا والآخر..... 24

4- تداخل مسار الأنا والآخر..... 27

المبحث الثالث: جدلية الوعي والواقع وبداية ظهور مشروع يواجه علم الاستشراق..... 26

خلاصة الفصل..... 35

الفصل الثاني: بنية فكر حسن حنفي (أسس المشروع)

المبحث الاول: آليات التجديد..... 38

1- التجديد اللغوي..... 38

2- تغيير الواقع الثقافي 39

3- منطق التحليل الشعوري..... 42

المبحث الثاني: الرؤية الفكرية للموقف الحضاري في فكر حسن حنفي 45

1- موقفنا الحضاري..... 45

المبحث الثالث: موقف حسن حنفي من القراءات التراثية والمنطلقات المنهجية..... 51

1- القراءات السابقة لتراث..... 51

2- المنطلقات المنهجية 55

خلاصة الفصل..... 61

الفصل الثالث: أبعاد المشروع

المبحث الاول: مقاربة تحليلية في التراث لكل من محمد أركون ومحمد عابد الجابري 63

1- قراءة محمد أركون للتراث 63

2- قراءة محمد عابد الجابري للتراث..... 66

المبحث الثاني: نحو تحقيق مشاريع فكرية عربية وضرورة التجديد والتحديث لمواجهة المسخ الثقافي..... 71

1- قضية التخلف في البلاد النامية..... 71

2- قضية التنمية ضد التخلف..... 72

3- قضية التقدم ضد الركود الفكري..... 72

4- قضية التراث والتحديث..... 73
المبحث الثالث: الرؤية النقدية لمشروع علم الاستغراب بين التأييد والرفض..... **75**
1- النقد **75**
2- التقييم **79**
خلاصة الفصل..... **82**
الخاتمة **84**
المصادر والمراجع **86**
الملاحق **91**
الفهرس **98**

الملخص

ملخص :

علم الاستغراب في فكر حسن حنفي من المواضيع التي نالت الكثير من الجدل، باعتباره موضوعا فريدا من نوعه للدراسة، خاصة أنه ارتبط بقضايا الواقع العربي والتراث الإسلامي، محاولا بذلك إدراج مشروعه في القضاء على الإحساس بالنقص أمام الغرب والتصدي ومواجهة الاستشراق بالاستغراب ورد ثقافة الغرب إلى حدودها الطبيعية، وجعل مشروعه الحضاري، الفكرة التي بها تحرك الفكر، وتؤدي إلى التقدم

الكلمات المفتاحية:

الاستغراب / الاستشراق / الحضاري/ التراث / التجديد

The abstract: :

Occidentalism is deemed as the extraction of Hassan Hanafi intellect, and it became one of the most. debatable subjects, In which it is a very unique subject for searching, especially since it has a relation with the matters of arabic reality and Islamic heritage.Hassan Hanafi found his project (occidentalisn) in order to excute the feeling of incomplete in front of the accidentals, and fighting orientalism with occidentalism for the reason of bringing back the occidental culture to its normal size. Furthermore, he aimed to make his project more civilized in order to illuminate the oriental intellect for moving forward flourishment nd reaching progress and flourishment.

key words

Westernization / Orientalism / Civilization / Heritage / Renewal